الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
University of Mostaganem - Abdelhamid Ibn Badis
كلية الأدب العربي والفنون
Faculty of Arabic Literature and Arts
FLAA
UNIVERSITE Abdelhamid Ibn Badis MOSTAGANEM

قسم الفنون

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفنون البصرية

تخصص: سينما وثائقية

تحت عنوان:

دراسة وثائقية حول صناعة الفخار في الجزائر مرفقا بفيلم صناعة الفخار

من اعداد الطالبة:
بن غربي هوارية

تحت اشراف:
د. العايب لحسن

أعضاء لجنة المناقشة:

اسم ولقب الاستاذ(ة)	الترتبة العلمية	الصفة في اللجنة
د. شرقي هاجر	أستاذ محاضر -أ-	رئيسا
د. لعايب لحسن	أستاذ محاضر -أ-	مناقشا
د. بلعباسي كلثوم	أستاذ محاضر -ب-	مقررا

السنة الجامعية: 2025/2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
University of Mostaganem - Abdelhamid Ibn Badis
كلية الآداب العربي والفنون
Faculty of Arabic Literature and Arts

شعبة فنون العرض

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر الاكاديمي لتخصص سينما وثائقية

دراسة وثائقية حول صناعة الفخار في الجزائر
مرفقا بفيلم صناعة الفخار

من اعداد الطالبة:
بن غربي هوارية

تحت اشراف:
د. العايب لحسن

السنة الجامعية: 2025/2024

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾

صدق الله العظيم

شكروعرفان

الحمد لله حمد كثيرا حتى يبلغ الحمد منتهاه والصلاة والسلام على أشرف

مخلوق أناره الله بنوره واصطفاه

وانطلاقا من باب من لم يشكر الناس لم يشكر الله أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور المشرف لعايب لحسن على إرشاداته وتوجيهاته التي لم يبخل بها علينا يوما، كما أتقدم بجزيل الشكر والعطاء إلى كل يد رافقتنا في هذا العمر سواء من قريب أو من بعيد والشكر موصول كذلك إلى أوليائنا الذين سهروا على تقديم لنا كل الظروف الملائمة لإنجاز هذا العمل

كما لا أنسى أن أشكر جميع الأساتذة والمؤطرين الذين قدموا لنا يد المساعدة جزاهم الله كل خير

الإهداء

الحمد لله على لذة الإنجاز، والحمد لله عند البدء والختام

(يَرْفَعِ اللهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

وبكل حب أهدي ثمرة تخرجي ونجاحي:

إلى الذي زين اسمي بأجمل الألقاب، من دعى لي بلا حدود وأعطاني بلا مقابل، من علمني أن النجاح كفاح وسلاحه العلم والمعرفة داعمي وسندي بعد الله فخري واعتزازي: والدي

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها، واحتضنتني قلبها قبل يديها، وسهرت لي الشدائد بدعائها إلى القلب الحنون إلى سر قوتي وسامي جنتي: والدتي

إلى من ساندني بكل حب وأزاح عن طريقي المتاعب مهد لي الطريق زارعًا لي الثقة والإصرار بداخلي وأضاء دربي وطريقي في كل خطوة أخطها كنتم لي الحب والسند: اخوتي

الى اساتذتي الافاضل، من وهبونا العلم، وزرعوا فينا بذور الحكمة، وسقونا من فيض عطائهم بلا كلل.

إلى كل من ترك أثرا في مسيرتي، همسا كان أو وقفة او دعاء.

الملخص

- ✓ الملخص باللغة العربية
- ✓ الملخص باللغة الانجليزية

الملخص

الملخص:

تتناول هذه الدراسة الطابع التراثي والتقني لصناعة الفخار التقليدي في الجزائر من خلال مقاربة تجمع بين البعد النظري والتطبيقي. تسعى إلى الكشف عن الجذور التاريخية والثقافية لهذه الصناعة بوصفها أحد أهم رموز الهوية المحلية، ورافدًا ثقافيًا واقتصاديًا لا يزال حيًا في بعض المناطق رغم التحديات الحديثة. تم التركيز على تحليل خصائص الفخار في ثلاث مناطق جزائرية متميزة: مقلة (تيزي وزو)، القلالة (تبسة)، وبني يزقن (غرداية)، مع إبراز أوجه التشابه والاختلاف في التقنيات والجماليات المستعملة. وقد اعتمدت الدراسة على وثائق رسمية، تقارير وزارية، وملاحظات ميدانية.

تشير نتائج الدراسة إلى أن الفخار التقليدي الجزائري يمثل سجلًا حيويًا يعكس التنوع الثقافي والمهاري بين المناطق، ويُظهر دور المرأة كمحافظة على الموروث الحرفي، إضافة إلى كونه مصدرًا لخلق فرص العمل ودعامة للاقتصاد المحلي. كما سلطت الضوء على التحديات الكبرى التي تواجه هذه الصناعة، مثل ضعف الدعم المؤسسي، وتراجع الإقبال المجتمعي، وتأثيرات العولمة. تقترح الدراسة ضرورة تعزيز السياسات الداعمة للحرف التقليدية، وتثمين الفخار كمنتج سياحي وثقافي مستدام.

الكلمات المفتاحية: الفخار التقليدي، الجزائر، التراث الثقافي، الصناعة الحرفية، المرأة، الاقتصاد المحلي، التحديات المعاصرة.

Summary:

This study explores the traditional and technical dimensions of pottery craftsmanship in Algeria through an approach that combines theoretical and practical perspectives. It aims to uncover the historical and cultural roots of this craft, viewing it as a key symbol of local identity and a living cultural and economic resource in various regions despite modern challenges. The study focuses on the distinctive pottery characteristics in three Algerian areas : Meqla (Tizi Ouzou), El-Kellala (Tébessa), and Beni Isguen (Ghardaïa), highlighting the similarities and differences in techniques and aesthetic styles. Official documents, ministerial reports, and field observations were utilized as primary sources.

The study reveals that traditional Algerian pottery serves as a vital record reflecting the country's cultural and artisanal diversity. It also emphasizes the role of women as preservers of traditional techniques and highlights pottery's potential in job creation and local economic development. The research sheds light on the significant challenges facing the craft, such as weak institutional support, declining community interest, and the pressures of globalization. The study concludes with a call to strengthen policies that support traditional crafts and promote pottery as a sustainable cultural and touristic product.

خطة الدراسة

خطة الدراسة:

المقدمة

***الفصل الأول: الاطار النظري لصناعة الفخار**

تمهيد الفصل

- **المبحث الأول: الجذور التاريخية والثقافية لصناعة الفخار في الجزائر**

المطلب1: تعريف الفخار

المطلب2: مراحل صناعة الفخار

المطلب3: انواع الفخار

المطلب4: تطور أدوات وتقنيات الفخار الجزائري

- **المبحث الثاني: البعد الاقتصادي والاجتماعي لصناعة الفخار**

المطلب1: دور الفخار في الاقتصاد المحلي والحرفي

المطلب2: مساهمة النساء في صناعة الفخار

المطلب 3: الفخار كمنتج سياحي وثقافي

المطلب4: التحديات التي تواجه صناعة الفخار التقليدية

خلاصة الفصل

خطة الدراسة:

***الفصل الثاني: دراسة تطبيقية وثائقية لصناعة الفخار في الجزائر**

تمهيد الفصل

- **المبحث الأول: عرض وتحليل وثائق رسمية حول الفخار**

المطلب1: تحليل مضامين التشريعات المتعلقة بالصناعات التقليدية

المطلب2: قراءة في تقارير وزارتي الثقافة والصناعة التقليدية

المطلب3: دور الجمعيات المحلية والمنظمات في دعم الفخار

المطلب4: عرض احصاءات رسمية حول عدد الحرفيين ومناطق الانتشار

- **المبحث الثاني: دراسات حالة لمناطق جزائرية تشتهر بصناعة الفخار**

المطلب1: دراسة حالة منطقة مقلة بتيزي وزو

المطلب2: دراسة حالة منطقة القلالة بولاية تبسة

المطلب3: دراسة حالة منطقة بني يزقن بغرداية

المطلب4: اوجه التشابه والاختلاف في خصائص التقنية والجمالية للفخار بين المناطق

خلاصة الفصل

المقدمة

المقدمة

المقدمة العامة:

تعد الحرف التقليدية بمختلف أشكالها من أبرز تجليات الهوية الثقافية للمجتمعات، إذ تعكس القيم، والعادات، والمعارف المتوارثة عبر الأجيال. ومن بين هذه الحرف، تحتل صناعة الفخار مكانة مميزة في التراث الجزائري، لما لها من امتداد تاريخي وروحي، وما تعبّر عنه من ارتباط وثيق بالأرض والبيئة المحلية. فقد عرفت مختلف مناطق الجزائر تقاليد فخارية عريقة لا تزال حيّة في بعض القرى والواحات، رغم التحديات التي فرضها العصر الحديث.

إن الفخار التقليدي في الجزائر ليس مجرد منتج للاستعمال اليومي، بل هو سجلّ حيّ يوثق خصوصيات كل منطقة، سواء من حيث المواد المستعملة أو الأشكال والزخارف، ويُعد رافدًا ثقافيًا وسياحيًا واقتصاديًا ذا إمكانيات كبيرة لم تُستثمر بعد بالشكل الكافي. ومن هنا، جاءت فكرة هذه الدراسة التي تسعى إلى تناول صناعة الفخار في الجزائر من منظور مقارن، يجمع بين البعد النظري والتطبيقي.

1. إشكالية الدراسة

رغم الأهمية التراثية والاقتصادية لصناعة الفخار في الجزائر، إلا أن هذه الحرفة تواجه اليوم خطر الاندثار بسبب ضعف الدعم المؤسسي وتراجع الاهتمام المجتمعي بها. ومن هذا المنطلق، تطرح الدراسة الإشكالية التالية:

- ما هي الخصائص التقنية والجمالية المميزة لصناعة الفخار التقليدي في بعض المناطق الجزائرية، وما أوجه التشابه والاختلاف بينها، في ظل التحديات التي تهدد استمراريتها؟

2. الأسئلة الفرعية:

- ما هي الجذور التاريخية والثقافية لصناعة الفخار في الجزائر؟
- ما هي الخصائص التقنية والجمالية للفخار التقليدي في مختلف المناطق الجزائرية (مقلة، القلالة، بني يزقن)؟
- ما هي العوامل التي تؤثر على استمرارية صناعة الفخار التقليدي في الجزائر؟
- كيف تؤثر التحديات الاقتصادية والاجتماعية على الفخار التقليدي؟

3. أهمية الدراسة

- إبراز القيمة الثقافية والتاريخية لصناعة الفخار في الجزائر.
- المساهمة في توثيق ممارسات فخارية تقليدية مهددة بالاندثار.
- تقديم دراسة مقارنة توضح تنوع الخصائص الجمالية والتقنية بين مناطق مختلفة.

- دعم الجهود الوطنية والبحثية الرامية إلى تثمين الصناعات التقليدية.

4. أهداف الدراسة

- دراسة الجذور التاريخية والثقافية لصناعة الفخار في الجزائر.
- تحليل الخصائص التقنية والجمالية للفخار في ثلاث مناطق (مقلة، القلالة، بني يزقن).
- رصد التحديات التي تواجه هذه الصناعة التقليدية.
- تقديم توصيات لدعم استمرارية الحرفة وتثمينها.

5. فرضيات الدراسة

- تختلف الخصائص التقنية والجمالية للفخار التقليدي من منطقة لأخرى حسب السياق الثقافي والجغرافي.
- تمثل المرأة عنصرًا محوريًا في المحافظة على تقنيات الفخار التقليدي.
- توجد فجوة بين الاعتراف الرسمي بأهمية الحرفة وبين دعمها فعليًا على المستوى المحلي.

6. المنهج المتبع

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في الإطار النظري، والمنهج الوثائقي ودراسة الحالة في الفصل التطبيقي، من خلال تحليل وثائق رسمية وتقارير وزارية، بالإضافة إلى نماذج من ثلاث مناطق فخارية معروفة.

7. حدود الدراسة

- الحدود المكانية: ثلاث مناطق جزائرية فقط (مقلة، القلالة، بني يزقن).
- الحدود الزمانية: تمت الدراسة بناءً على وثائق وتقارير منشورة بين 2010 و2024.
- الحدود الموضوعية: تركز على الجوانب التقنية، الجمالية، الاجتماعية، دون الدخول في الجوانب الاقتصادية الموسعة.

الفصل الأول:

الاطار النظري لصناعة الفخار في الجزائر

تمهيد :

تعتبر صناعة الفخار من أعرق الحرف التقليدية التي عرفتها المجتمعات البشرية، وقد تميزت الجزائر منذ العصور القديمة بثراء هذا الفن وتنوع مظاهره الجمالية والرمزية. ويهدف هذا الفصل إلى تقديم أرضية نظرية شاملة حول صناعة الفخار في الجزائر، من خلال دراسة تطورها التاريخي وتقنياتها التقليدية، وكذا أبعادها الثقافية والاجتماعية. كما يتم التطرق إلى دور الفخار في تشكيل هوية المجتمع المحلي عبر العصور، مما يمهّد لفهم أعمق للدراسة التطبيقية في الفصل الموالي.

المبحث الاول: الجذور التاريخية والثقافية لصناعة الفخار في الجزائر

تعد صناعة الفخار من أعرق الحرف التقليدية التي عرفها الإنسان، وقد ارتبطت بشكل وثيق بمسار تطوره الحضاري والثقافي. وفي السياق الجزائري، فإن الفخار يشكل عنصراً بارزاً من التراث المادي، حيث تميز عبر العصور بتنوع أشكاله ووظائفه ورموزه. يسعى هذا المبحث إلى تتبع الجذور التاريخية والثقافية لصناعة الفخار في الجزائر، من خلال الوقوف عند تعريفه، ومراحل صناعته، وكذا انواعه واخيرا تطور تقنيات وادوات الفخار الجزائري.

المطلب1: مفهوم الفخار

يعرف الفخار في اللغة العربية :

على أنه كل آنية عملت من الطين ثم شويت بالنار لتصبح فخارا، والخزف على قول الجوهري هو الجر (جمع جرة) أي ما يبيعه الخزاف، أما الفخار فمعرف لغويا على أنه الجر أو الخزف تعمل منه الجرار وغيرها . "فالصلصال هو المادة التي خاصية اللزابة، أما الفخار فهو المادة الجديدة الناتجة عن حرق الصلصال، أما الطين فهو المادة الأساسية التي تدخل في صناعة الفخار.[1]

أما بالنسبة للتعريف الاصطلاحي

فالفخار هو كل آنية صنعت من طين وشويت في النار ، والخزف يقصد به كل آنية فخارية تم تزجيجها أو طلاؤها بأصباغ ملونة لإكساب رونقا وبريق وهذا هو الاختلاف بين الفخار والخزف عند بعض الباحثين.[2]

ويختلف تعريف الفخار من الخزف عند الباحثين فلبعض يرى إن تسمية الفخار تشكل منتجاته من عجينة طبيعية يتمم تعريضها لنار، أما الخزف فتشكل منجاته من عجينة صناعية أي تستعيد من مكوناتها لشوائب ويضاف لها من مركبات تزيد صلابتها وجودتها مثل الرمل، و

[1] فيروز آبادي، القاموس المحيط دار الحديث، ط1 ، القاهرة، 2008

[2] Camps, Op.Cit, p532.

تعتبر صناعة الفخار من الأدلة المهمة الدالة على حقب معينة والتي تساعدنا على تحديد فترة معايشة الإنسان لتلك الفترة.[1]

كما تعتبر الأواني الفخارية هي تلك الأواني التي جعلت لحفظ المواد الغذائية والسوائل، وفي حالات أخرى للطهي والأكل والشرب كما استعملت أيضا لدفن الموتى أو لاحتواء رماد الجثث المحروقة طبقا لطقوس دينية محددة أو حتى لتزويد الميت بمتطلبات العيش بعد الموت ولضمان استمراره في الحياة الماورائية حسب معتقدات بعض الشعوب القديمة.[2]

المطلب2: مراحل صناعة الفخار

اولا: مرحلة الإعداد والتشكيل

بعد جلب الطين من أماكن تواجده يقوم الحرفي بوضع الطين تبلل داخل أحوا ثم يجمعها على شكل كتلة دائرية، ثم يقوم بدعك العجينة حسب تقنية معروفه عند المصريين، وكذلك عرفها البونيقيين أيضا وفي الأخير بواسطة قصبة الشوائب والحجارة الصغيرة تشكل العجينة.[3]

1. إعداد العجينة

يوجد الطين في شكل مقاطع تعرف بالصلصال وهناك نوعان من هذه المقاطع حيث نجد مقاطع على سطح الأرض ومقاطع تحت سطحها. يجمع الصلصال في شكل كتل وتنشر في أماكن مفتوحة لتنقيتها من الشوائب العالقة بها وبذلك نتحصل على صلصال متجانس صافي وخالي من الشوائب.[4]

ثم يتم بعد ذلك نشره تحت أشعة الشمس وذلك ليجف من الرطوبة، ثم يتم تكسيره وتفنيته إلى قطع صغيرة، وتوضع بعد ذلك في حفرة ويسكب عليها الماء فنتحصل بذلك على صلصال لزج كثير التمطط والسيلان فنضيف إليه المعدلات فيصبح بذلك لدينا عجينة متماسكة لا تلتصق

---

[1] صلاح رشيد صالحي، تاريخ الدولة المغاربية منذ أقدم العصور إلى فجر التاريخ، دار ريحانة، ط1، بغداد، (د.س)، ص120.

[2] محمود عبد العزيز النمس، دليل منطقة حفائر ،جنزور مصلحة الآثار، (دون طبعة)، طرابلس، 1980، ص18.

[3] صلاح رشيد صالحي، المرجع السابق، ص 122.

[4] Camps, la ceramique, Op, CIT, P176.

باليدين وتكون سهلة التشكيل وسهلة التجفيف والحرق لتعطينا في الأخير قطعة فخارية متماسكة وصلبة .[1]

2. التشكيل باليد

الشكل (01): صورة توضح طريقة العجن العجينة الفخارية

المصدر: هوميروس، **الأدوسية**، تر: أمين سلامة، دار الفكر العربي، ط1، (د.ب)، 1978، ص 18

هاته التقنية مما لاشك فيه في عصر الحجري الحديث وهي طريقة بدائية نوعا ما وخالية من أي مهارة، فلحرفي يقوم بالضغط على العجينة بأصابعه ليشكل الإناء المطلوب وطبعا تلك الأواني تمثلت في ما يناسب احتاجتهم اليومية، حيث يتم تشكيل الآنية مثلا بتكوين أشرطة من الطين تلف لولبيا وتأخذ شكل الحلقات المتتالية التي تسوى باليد لتكون الآنية تدريجيا[2]. حيث كان هذا الفخار حسب رأي المؤرخين كان من صنع السكان الأصليين وكانت النساء التي تصنع الفخار بيدها واستمرت هاته التقنية حتى الربع الأول حتى القرن السابع قبل الميلاد.[3]

[1] صلاح رشيد صالحي، المرجع السابق، ص 122.

[2] محمود عبد العزيز النمس، المرجع السابق، ص20.

[3] Fantar(M.H),les parremets puniques dans les dossiers de Lorchéologie, 1972, p103.

الشكل (02) التشكيل باليد عن طريق تقنية الحز بالحبال

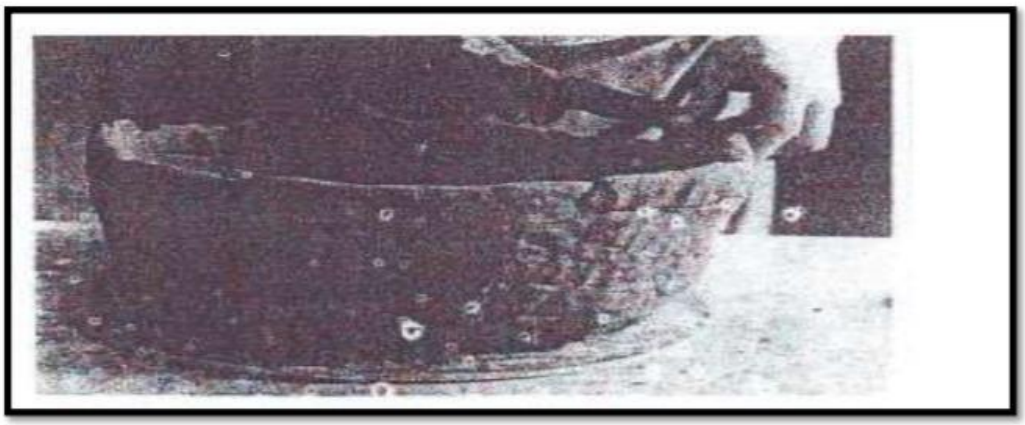

المصدر: محمود عبد العزيز النمس، المرجع السابق، ص 20

الشكل (03) تشكيل الأواني الفخارية عن طريق اليد

المصدر: هوميروس، **الإلياذة**، تر: غبره السلام الخالدي، دار العلم للملايين، ط1، (د. ب)، 1974، ص22.

3. التشكيل بالدولاب

بفضل الفينيقيين استطاع المغاربة القدامى اكتشاف تقنية جديدة لصناعة الفخار والدولاب وهو عبارة عن حجرين الأول عبارة عن حجارة دائرية مصقولة طبيعيا ومفرغة لتشكل حوض قليل العمق وهي تمثل، القاعدة والأخرى ذات شكل مقعر حيث جزءه العلوي متكون من رجل تدور في الجزء المقعر من الدولاب وهو ذو استعمال بدوي فهناك شخصين يقومان بهانه الطريقة شخص بدور الدولاب والآخر يشكل الآنية.[1]

[1] محمود عبد العزيز النمس المرجع السابق، ص 20.

الشكل (04) صورة توضح الشكل العام الدولاب

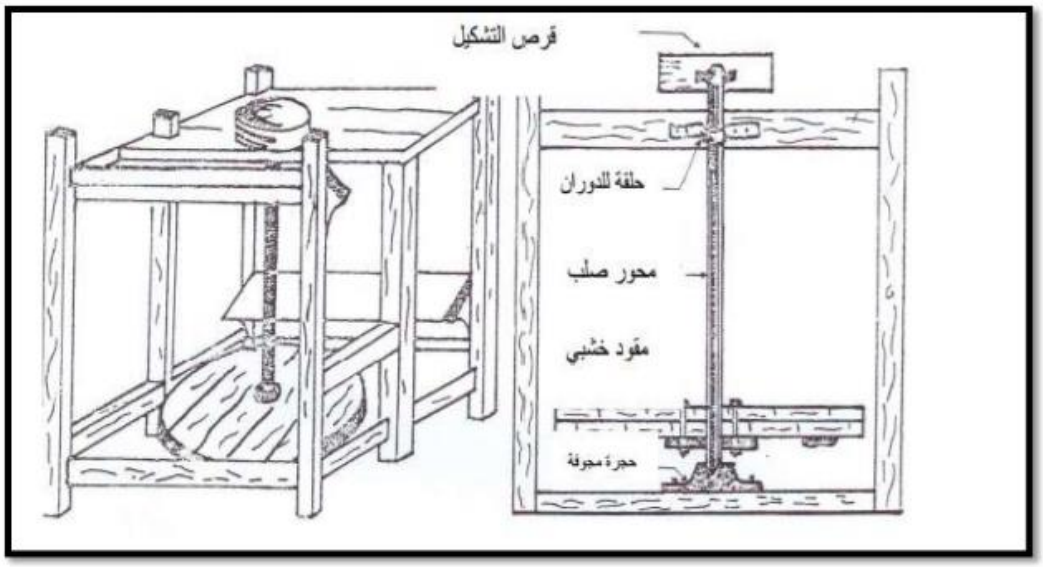

المصدر: محمود عبد العزيز النمس، المرجع السابق، ص 20.

4. التشكيل بالقالب

حيث يصنع القالب من الفخار حيث توضع فيه العجينة ويتم الضغط عليها بالبدين حتى تأخذ شكل القالب، ثم توضع الأواني بعد تشكيلها في الشمس حتى نجف كليا، لتأتي بعدها المرحلة الأخيرة والتي يتم فيها وضع الأواني في الفرن لحرقها لنتحصل في الأخير على أواني متماسكة وصلبة وصالحة للاستعمال، هاته الطريقة خصصها الحريفين الصناعة التماثيل الصغيرة والخزفيات المزخرفة حيث أستعمل الحرفي قوالب لصناعة التماثيل.[1]

[1] ساليستيوس، الحرب اليوغرطية، تر : محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، (د.ط)، ليبيا، (د س)، ص 15.

الشكل (05) صورة توضح طريقة القولبة عن طريق تقنية القالب

المصدر: Claude Raynaud, Céramique Africaine Clair D, L attara 6, 1993, p.p. 190.197

ثانيا: مرحلة التجفيف والحرق

1. مرحلة التجفيف

تجفيف الفخاريات في البداية تحت أشعة الشمس ثم توضع في مخازن باردة ورطبة خلال الأسابيع من أجل إخراج الماء الذي كان في الآنية نتيجة استعماله خلال عملية التشكيل فالطهي قبل إتمام جفافها يتسبب في تشقق وانكسار الآنية مع الأخذ بعين الاعتبار التفرقة بين الأواني بواسطة قطع من العظام الدائرية وبعدها يؤخذ الفخار للفرن ويوضع في لمدة ثلاثة أيام اليوم الأول من اجل الطهي والثاني والثالث لتبريد .[1]

أما التماثيل المصنوعة من القوالب واليد يقول محمد فنطر في هذا الصدد بأنه كانت هناك طريقة ممكنة خاصة في الأفران التي يكون فيها مكان الطهي منفصل عن غرفة النار مما يعرض هاته الخزفيات للهيب فافترض وضعها داخل جرة كبيرة يمكن إغلاقها وتعرض لنار .[2]

[1] لينيتكتون، **فن صناعة الفخار**، تر عدنان ،خالد منشورات وزارة الإعلامية (د. ط)، العراق، 1974، ص 33.

[2] لينينكتون المرجع السابق، ص 34.

2. مرحلة الحرق

تعتبر مرحلة الحرق هي العملية الأساسية في صنع الفخار حيث تضفي عليه صفة الصلابة التي تمكن من استعماله فيما بعد. و تتم عملية الحرق داخل فرن يكون بالقرب أو داخل مشغل أو ورشة صناعة الفخار ، ويتكون هذا الفرن من قسمين يفصل بينهما حاجز به ثقوب تنفذ منها الحرارة من القسم السفلي الذي يعرف باسم الموقد إلى القسم العلوي الذي يعرف باسم بيت الطبخ أو المحرق والذي يتم فيه ترصيف الأواني الفخارية لشويها .[1]

وتتطلب عملية إدخال الأواني إلى الفرن دراية جيدة في الترصيف والتحكم في درجة الحرارة، فالإفراط في الحرارة يؤدي إلى حرق الأواني وكسرها وكذلك التخفيض في الحرارة يعطينا أواني هشة سريعة الانكسار ، لذلك يجب أن يكون الصانع على دراية بتوزيع الحرارة داخل الفرن بين كل الأواني وذلك بمراقبة درجة حرارة الفرن باستمرار ليتحصل على أواني متماسكة و صلبة، ويتجنب الحصول على أواني إما محروقة أو هشة سريعة الانكسار وتتم عملية مراقبة الحرارة عن طريق فتحة في أعلى الفرن.[2]

الشكل (06) صورة توضح فرن لطهي الأواني الفخارية

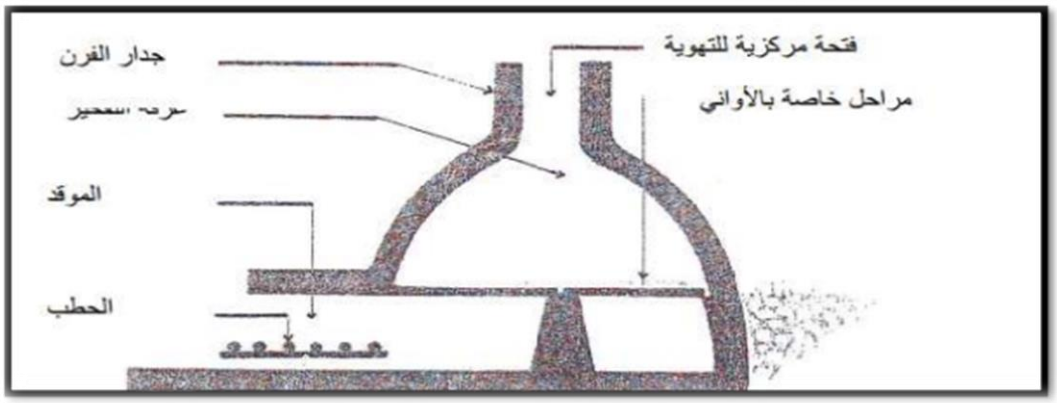

المصدر: صلاح رشيد صالحي المرجع السابق، ص 122.

[1] صلاح رشيد صالحي، المرجع السابق، ص 122.

[2] لينيتكتون، المرجع السابق، ص 34.

ثالثا: مرحلة الزخرفة

1. الزخرفة بالحز

بعد تشكيل الآنية بالدولاب أو بأي طريقة صناعية تترك لتجف جفاف نسبي ويبدأ الفخاري بإجراء حزوز على بدن الآنية مستعملا أداة حادة ذات خط منكسر مجوف من القصب أو العظام، وتتمثل الزخارف المحزوزة عادة في زخارف هندسية عبارة عن شبكة من الخطوط العمودية والأفقية والمنكسرة والمائلة أو الدائرية.[1]

2. الزخرفة بالحفر

وهي تشبه الزخرفة بالحز، لكنها تنفذ بواسطة أداة معدنية قاطعة (منقش)، فيرسم خط أكثر عرضا وأقل عمقا وتكون الزخارف غائرة الزخرفة بالتفريغ (التخريم) ويقوم الفنان برسم زخرفة على الورق، ويطبقها على سطح الخارجي الأنية، ثم يقوم بكشط الجزء المحيط بالزخرفة فتبدو بارزة أو يقوم بتفريغ محتوى الزخرفة فتظهر غائرة .[2]

3. الزخرفة بالطابع

تعتمد هذه التقنية على الطابع او القالب يحمل عناصر زخرفية متنوعة على جداره بحيث يقوم الصانع بضغط العجينة عليه ثم ينزع الطابع ، فإذا كانت الزخرفة غائرة في القالب تنتج على الآنية زخرفة بارزة، وإذا كانت الزخرفة بارزة في القالب تنتج غائر على القطعة .[3]

---

[1] توفيق سحنوني، **دراسة أثرية للمجموعات الفخارية والخزفية الإسلامية بمتاحف (بني حماد، سطيف، تلمسان)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، إشراف معهد الآثار، جامعة الجزائر ، 2007،2008، ص 56.

[2] خفيضة هادي، المسارج الفخارية والخزفية في المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي (دراسة تاريخية وأثرية)، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، إشراف معهد الآثار، جامعة الجزائر ، 2008، 2009، ص ص 73-74.

[3] توفيق سحنوني، المرجع السابق، ص 57.

المطلب3: انواع الفخار

اولا: الفخار الجنائزي

تعتبر عادة وضع القرابين الجنائزية في المدافن من العادات التي مارسها الإنسان المغربي القديم، ونجد ضمن الأثاث الجنائزي في مختلف القبور التي تعتبر في عقائدهم الحياة بعد الموت فكانت توضع بجانب الميت الشرب.[1]

فكامبس وضع الأشياء النادرة التي جمعها تحت اسم الآنية الخزفية الصغيرة و الآنية الطقوسية التي ليس لها غير الأهمية الدنية، والفخار الذي عثر عليه في القبور المختلفة كان موجها أصلا ليوضع فيها فنجد الفخار النذري الذي لا يحتوي على أكثر من قيمته التعبدية والدنية وفخار عائلي موجه لمختلف الاستعمالات حيث كانت توضع في القبر تلك الأواني التي كان يستعملها في حياته اليومية ومن هاته الأصناف نذكر الجفون القوارير وكذلك الهدايا الجنائزية .[2]

ثانيا: الفخار المنزلي

يوجه الفخار المنزلي لمختلف الاستعمالات فتجد مثلا الأقداح والصحون والكؤوس فغالبية هاته الأواني لحفظ المشروبات مثل الأباريق وأواني لحفظ الطعام، وقد تنوعت وظائف هذه الأواني واستعملت أيضا للاستهلاك الطعام وتحضير الأطعمة ومنها الادخار ولنقل المسفات ويمكن تصنيف الأواني المنزلية إلى أربعة أقسام وهي :[3]

- أواني الطهي الخاصة بأكل مثل الأقداح والصحون
- أواني التخزين مثل الامفورات والجرار المخصصة لنقل الحبوب والزيت والنبيذ
- أواني الشرب مثل الكؤوس والأواني المخصصة

وقد قسم "قزال" الفخار حسب اللون والزخرفة فنهاك فخار غير مزخرف كالقدور والصحون وفخار مصبوغ مزخرف بلون الأسود الداكن مع اللون الأحمر تتركز على أشكال هندسية

---

[1] قبريال كامبس، **في أصول البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ**، تر : محمد العربي العنون المجلس الأعلى للغة العربية (دط)، (د س)، ص 123

[2] Fontor(M.H), op.cit.p104.

[3] محمد الهادي حارش التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء العرش إلى وفاة يوبا الأول دار هومه (د. ط)، الجزائر 1995، ص ص 136 137 .

مستقيمة، وقد استخدم الفخار لأول مرة في الشرق الأدنى ثم عبر عن طريق جزر الحوض الشرقي للبحر المتوسط وصولا لصقلية ومنها دخل الشمال افريقيا.[1]

الشكل(07): طريقة التفخير لدى الانسان قديما

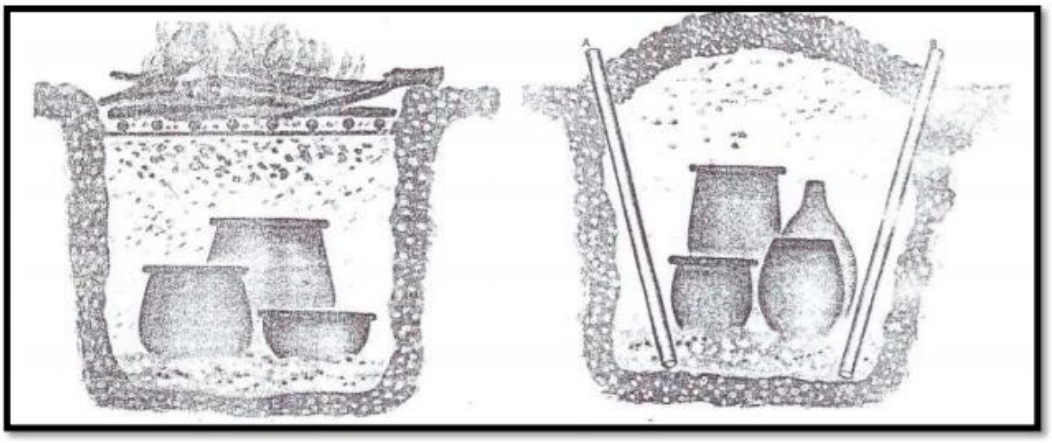

المصدر: محمد الهادي حارش، مرجع سابق، ص137.

ثالثا: الأباريق والأواني ذات المرضعة

1. الأباريق

وهي أواني ذات قاعدة مسطحة و جسم منتفخ ينتهي برقبة طويلة لها مقبض جانبي يمتد من الحافة إلى الجسم، ولكنها تستعمل للسقي و الشرب .[2]

2. الأواني ذات المرضعة:

وهي أواني ذات منقار أنبوبي، قاعدتها مسطحة و ارتفاعها يضاعف عرضها و ذات عنق مخنوق لها مقبضين يمتدان من الحافة إلى الجسم في اتجاه معاكس بالنسبة للمنقار الذي له ثلاث ثقوب، وقد وضع هذا الموضع على الأنية بعد ثقب الانسان جسم الآنية، إدخال المنقار بداخله ثم ألفها بعجينة طينية مازالت آثارها ظاهرة و الشيء المهم هو وجود أنية دانية ذات مرضعة مصنوعة بالدولاب.[3]

---

[1] نورية أكلي، الحرف والحرفيون في نوميديا قبل العهد الروماني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراء، إشراف: دلوم السعيد، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم تاريخ 2009،2010، ص ص 150 151.

[2] حفيضة هادي، المرجع السابق، ص 58

[3] نورية أكلي، المرجع السابق، ص 151.

المطلب4: تطور أدوات وتقنيات الفخار الجزائري

تعد أدوات وتقنيات صناعة الفخار في الجزائر من بين أهم عناصر التفرد والتميز في هذا المجال. فقد شهدت هذه الصناعة تطوراً كبيراً نتيجة تأثيرات مختلفة، بدءاً من الحضارات القديمة مروراً بالفترة الإسلامية وصولاً إلى العصر الحديث. هذا التطور يمكن تلخيصه في مراحل رئيسية تميزت بتغيير الأدوات والمواد المستخدمة، بالإضافة إلى الابتكار في الأساليب التقنية.

المرحلة الأولى: العصور القديمة

في العصور القديمة، اعتمد الحرفيون الجزائريون على أدوات بدائية كانت تعتمد على المواد المتوفرة في بيئتهم المحلية مثل الطين والرمل. وقد استخدم الحرفيون في هذه المرحلة الأدوات اليدوية البسيطة مثل العصي والمجارف لتشكيل الفخار. كانت الطريقة الأساسية لتشكيل الأواني تتم عن طريق العجن اليدوي للطين، ثم تشكيله بأيدي الحرفيين أو باستخدام عجلة الفخار البدائية، وهي إحدى التقنيات القديمة التي يتم استخدامها حتى اليوم في بعض المناطق الجزائرية.

كما أظهرت الحفريات في العديد من المواقع الأثرية مثل تيمقاد وجميل أن الفخار الجزائري في هذه الحقبة كان يتسم بتقنيات بسيطة، لكنه كان مميزاً بتصاميمه الفنية التي تنم عن ذوق رفيع واحترافية عالية في تلك الحقبة.[1]

المرحلة الثانية: الفترات الرومانية والإسلامية

مع دخول الفترات الرومانية والإسلامية، تطورت تقنيات صناعة الفخار في الجزائر بشكل ملحوظ. أصبح الفخار في هذه الفترات أكثر تنوعاً من حيث الأشكال والأنماط. في العهد الروماني، ظهرت تقنيات جديدة في الحرق والطلاء، حيث أصبح الفخار الجزائري يُصنع باستخدام أفران عالية الحرارة. كما تم استخدام الزخارف الهندسية والنباتية بشكل موسع في تزيين الأواني الفخارية، مما يعكس تأثيرات الثقافات المجاورة مثل الفينيقيين والبيزنطيين.

أما في العهد الإسلامي، فقد تطورت تقنيات الطلاء باستخدام الزخارف الإسلامية التقليدية مثل الكتابات الخطية والزخارف الهندسية، ما أضفى على الفخار الجزائري طابعاً مميزاً يتماشى

[1] Ait Ali, M. Histoire et Techniques de la Poterie en Algérie. Alger : Éditions El-Khazneh. 2017.

مع الأسلوب الفني الإسلامي. كما تم تطوير أدوات الحرفيين مثل أفران الحرق المتقدمة والتي سمحت بإنتاج قطع أكبر وأكثر تعقيداً.[1]

المرحلة الثالثة: العصر الحديث

في العصر الحديث، شهدت صناعة الفخار في الجزائر تحولاً جذرياً مع دخول التقنيات الصناعية. فقد أدخلت آلات حديثة لتحسين الإنتاجية وتقليل الحاجة إلى العمل اليدوي الشاق. على الرغم من ذلك، بقيت العديد من المناطق في الجزائر متمسكة بالتقنيات التقليدية مثل العجلة اليدوية والتشكيل اليدوي. وقد تم تطوير أدوات الفخار مثل الأفران ذات درجات الحرارة العالية التي سمحت بإنتاج فخار ذو جودة أعلى.

إضافة إلى ذلك، شهدت هذه المرحلة تطوراً في استخدام المواد، حيث أصبح الطين المستخدم في صناعة الفخار يتنوع بين الأصناف المحلية والمستوردة، وهو ما أثر بشكل إيجابي على جودة الفخار الجزائري. كما تزايد الاهتمام بتطوير تقنيات الطلاء والتزيين التي أصبحت أكثر تنوعاً باستخدام الألوان المختلفة مثل الأحمر والأزرق، وأصبحت بعض هذه الألوان تحاكي ألوان الزخارف الإسلامية الكلاسيكية.[2]

- **التقنيات الحديثة والمتطورة في صناعة الفخار الجزائري**

اليوم، ورغم استخدام التقنيات الحديثة في صناعة الفخار، ما يزال الحرفيون في الجزائر متمسكين بالعديد من الأساليب التقليدية التي تجعل من الفخار الجزائري فناً يعبر عن هوية وثقافة خاصة. فالفخار في الجزائر ليس مجرد منتج صناعي بل هو جزء من التراث الثقافي، وتستمر تقنيات الحرفيين في تطوير أدوات جديدة للحفاظ على هذه الصناعة.

[1] Benchenane, M. « Les Techniques Anciennes de la Poterie en Algérie : Un Patrimoine à Préserver. » Revue d'Archéologie et de Culture, 25(3),2009, p 45-67.

[2] Djerbal, A. La Céramique Traditionnelle en Algérie : Une Héritage Vivant. Alger : Éditions Dar El-Jadid,2015.

من أبرز التقنيات الحديثة في صناعة الفخار الجزائرية، هي تطوير الأفران الحديثة ذات الحرارة المتحكم بها والتي تساهم في تحسين جودة الحرق. إضافة إلى استخدام الطين المخلوط بمواد أخرى مثل الرمل والفخار المحروق لتحسين مقاومة القطع للخدوش والكسور.[1]

انطلاقا مما سبق يمكن القول إن تطور أدوات وتقنيات الفخار في الجزائر يمثل حلقة وصل بين الماضي والحاضر، حيث يعكس التحولات الثقافية والاجتماعية التي شهدتها البلاد عبر العصور. ورغم التحديات التي تواجه هذه الصناعة التقليدية، إلا أن الاهتمام المتزايد بتطوير الأدوات والتقنيات واستخدام التكنولوجيا الحديثة قد ساهم في تحسين جودة الفخار الجزائري، وجعل منه أحد عناصر الهوية الوطنية التي تميز الجزائر في الساحة الثقافية والفنية.

المبحث الثاني: البعد الاقتصادي والاجتماعي لصناعة الفخار

إلى جانب أبعاده الثقافية، يحمل الفخار بعداً اقتصادياً واجتماعياً مهماً، كونه يُمثل مصدر رزق لفئات واسعة، لا سيما في المناطق الريفية، كما يُعد مجالاً خصباً للمساهمة النسوية في الحرف التقليدية. وفي هذا المبحث، سيتم التطرق إلى مساهمة الفخار في الاقتصاد المحلي، ودور المرأة فيه، فضلاً عن إبراز قيمته الثقافية والسياحية، قبل مناقشة التحديات التي تهدد استمراريته.

المطلب1: دور الفخار في الاقتصاد المحلي والحرفي

تعد صناعة الفخار واحدة من أقدم الحرف التي واكبت تطور الإنسان منذ العصور القديمة، وهي ليست فقط نشاطًا فنيًا أو تراثيًا، بل قطاعًا اقتصاديًا يحمل في طياته إمكانيات كبيرة لدعم التنمية المحلية وخلق فرص اقتصادية بديلة، خاصة في المجتمعات التي لا تزال تعتمد على الاقتصاد غير الرسمي. في الجزائر، تُعتبر صناعة الفخار ركيزة من ركائز الحرف التقليدية، لما لها من امتداد تاريخي، وارتباط بالهوية الثقافية، إضافة إلى مساهمتها في دعم الاقتصاد المحلي، لا سيما في المناطق الداخلية والريفية.

أولًا: مساهمة الفخار في خلق فرص العمل

تلعب صناعة الفخار دورًا حيويًا في تشغيل الأيدي العاملة، وخاصة في الأوساط الريفية والمناطق المعزولة التي تفتقر إلى الاستثمارات الكبرى وفرص العمل النظامية. وتُشير تقارير

[1] Hamidi, F.« La Poterie et son Importance Culturelle et Sociale en Algérie. » Journal des Arts et Métiers Traditionnels, 18(2), 2012, p123-137.

وزارة الصناعة التقليدية إلى أن هذا القطاع يشغّل الآلاف من الحرفيين، بما في ذلك النساء، اللائي يمثلن نسبة معتبرة في الإنتاج اليدوي للفخار، سواء في صناعة الأواني التقليدية أو في الرسم والتزويق على الطين المحروق[1]. وتُعتبر هذه الصناعة مصدر دخل أساسي للعديد من العائلات، خاصة تلك التي تمارس الحرفة كإرث عائلي يُنقل من جيل إلى جيل، مما يمنحها استمرارية ثقافية واقتصادية في آنٍ واحد.

ثانيًا: الفخار كأداة لتنشيط الدورة الاقتصادية المحلية

يُساهم الفخار في تحريك عجلة الاقتصاد المحلي من خلال تكوين شبكة إنتاج وتسويق تشمل الموردين (الطين، الأدوات، الأفران)، والمنتجين (الحرفيين)، والتجار، فضلاً عن المشاركين في المعارض والأسواق التقليدية. فكل قطعة فخار تمر عبر مراحل متعددة من الإنتاج، من جمع المواد الخام إلى التشكيل، التجفيف، الحرق، ثم الزخرفة والتسويق، وهي عملية تشاركية تُساهم في خلق قيمة اقتصادية مضافة على مستوى المنطقة المنتجة[2]. كما أن إدماج منتجات الفخار في المعارض الوطنية والدولية، وفي مسارات السياحة الثقافية، يُعزّز من إشعاعها الاقتصادي

ثالثا: العلاقة بين الفخار والسياحة الثقافية

أصبحت صناعة الفخار تشكّل أحد عوامل الجذب السياحي في الجزائر، حيث يبحث السائحون – سواء من الداخل أو الخارج – عن منتجات يدوية تعبّر عن التراث المحلي، وخاصة في مناطق مثل القالة، نقوسة، تيميمون، وبني يزقن، التي اشتهرت تاريخيًا بصناعة الفخار. وفي هذا السياق، لا يقتصر دور الفخار على كونه منتجًا للعرض فقط، بل أيضًا تجربة ثقافية، حيث تُتاح للزوار فرصة مشاهدة مراحل الصناعة والمشاركة في تشكيل بعض القطع، مما يخلق قيمة سياحية مضافة ويُولّد دخلاً إضافيًا للحرفيين.[3]

[1] وزارة الصناعة التقليدية والحرف. تقرير سنوي حول الحرف التقليدية في الجزائر. الجزائر: منشورات الوزارة، 2022.

[2] بوعلام، ليلى. "الفخار كمصدر اقتصادي في المجتمعات المحلية: دراسة حالة منطقة نقوسة." مجلة الاقتصاد المحلي والتنمية 5، عدد 2 (2021): 88–102.

[3] عبد القادر، نورة. السياحة الثقافية والحرف التقليدية في الجزائر. الجزائر: دار الخلدونية، 2020.

رابعا: الفخار ضمن الاقتصاد الإبداعي

في السنوات الأخيرة، بدأ بعض الحرفيين في تطوير أشكال جديدة من الفخار تزاوج بين التقليدي والمعاصر، ما سمح لهم باختراق أسواق جديدة، سواء داخل الجزائر أو في الخارج. ويُعدّ هذا التوجه جزءًا من ما يُعرف بالاقتصاد الإبداعي، الذي يدمج الثقافة، الفن، والابتكار في خدمة التنمية الاقتصادية. وتؤكد دراسات حديثة أن الصناعات الثقافية والإبداعية، بما فيها الفخار، يمكن أن تُساهم بنسبة معتبرة في الناتج المحلي الخام، إذا ما تم دمجها في سياسات اقتصادية مدروسة.[1]

خامسًا: التحديات التي تعيق دور الفخار الاقتصادي

رغم الأهمية الاقتصادية لصناعة الفخار، إلا أنها لا تزال تعاني من عدة عراقيل تحد من تأثيرها، من بينها: ضعف التكوين المهني، غياب التمويل البنكي الميسر، نقص آليات التسويق الإلكتروني، وتدني مستوى الدعم المؤسسي. كما أن المنافسة مع المنتجات الصناعية المستوردة، والتي غالبًا ما تكون أقل كلفة وأكثر تنميطًا، تهدد باندثار هذا النشاط لدى فئة كبيرة من الحرفيين. وتُشير دراسات إلى أن أغلب الحرفيين يعملون خارج الإطار الرسمي، ما يحرمهم من التغطية الاجتماعية والامتيازات الممنوحة للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة.[2]

من خلال ما سبق، يتضح أن الفخار ليس مجرد حرفة تراثية بل هو نشاط اقتصادي حقيقي له انعكاسات ملموسة على التنمية المحلية. غير أن تحقيق الاستفادة القصوى من هذا القطاع يتطلب وضع إستراتيجية وطنية واضحة، تشمل دعم التكوين، تحسين التمويل، تطوير القنوات التسويقية، ودمج الحرفيين في الاقتصاد الرسمي، لضمان استدامة هذه الصناعة ورفع مساهمتها في الناتج المحلي.

[1] سعيد، محمد. "الاقتصاد الإبداعي وصناعة الفخار التقليدية: بين الواقع والطموح." مجلة الفنون والصناعات الثقافية 3، عدد1 (2022): 45-60.

[2] المركز الوطني للإحصاء. تقرير حول القطاع غير الرسمي في الجزائر. الجزائر: منشورات CENEAP، 2021.

المطلب2: مساهمة النساء في صناعة الفخار

تعد مساهمة النساء في صناعة الفخار من أبرز الظواهر التي تعكس التداخل بين الحرفة والواقع الاجتماعي والاقتصادي المحلي، خاصة في المناطق الريفية وشبه الحضرية في الجزائر. فالمرأة لم تكن فقط عاملة في هذا القطاع، بل حافظت على استمراريته وطورته ضمن ظروف معيشية وثقافية صعبة في كثير من الأحيان، مما يمنح مشاركتها في هذه الصناعة طابعًا مزدوجًا: إنتاجي وهوياتي في آنٍ واحد.

أولا: المرأة كحافظة للتراث الفخاري

تعتبر النساء في الكثير من المناطق الحرفية، مثل القالة، نقوسة، تيميمون، وبني يزقن، العمود الفقري لصناعة الفخار. فغالبًا ما تتعلم الفتيات هذه الحرفة منذ الصغر، وتنتقل عبر الأمهات والجدات عبر الأجيال. لا يتعلق الأمر هنا بمجرد مهارة تقنية، بل بمنظومة ثقافية متكاملة تتجسد في طريقة جلب الطين، وعجنه، وتشكيله، وتزيينه، وحرقه، ثم استعماله في الحياة اليومية. [1]وتمثل المرأة، في هذا السياق، حاملة للذاكرة الجماعية، وحامية لرموز الهوية المحلية من خلال الرسوم والزخارف التي تميز إنتاج كل منطقة.

ثانيا: الأدوار الاقتصادية للمرأة الفخارية

لقد لعبت صناعة الفخار دورًا مهمًا في تمكين المرأة اقتصاديًا، خصوصًا في المناطق التي تفتقر لفرص عمل للنساء. فبفضل هذه الحرفة، تمكنت الكثير من النساء من تحقيق دخل مستقل، سواء من خلال بيع المنتجات في الأسواق الأسبوعية، أو المشاركة في المعارض الوطنية، أو حتى تسويقها عبر صفحات التواصل الاجتماعي في السنوات الأخيرة[2]. هذا الدخل، وإن كان بسيطًا، يُساهم في تحسين وضع الأسرة، ويمنح المرأة موقعًا تفاوضيًا أقوى داخل المجتمع والأسرة، ويُكرّس دورها كمساهمة في الاقتصاد المحلي.

---

[1] بن يوسف، فريدة. التراث اللامادي في الجزائر: دراسة أنثروبولوجية لصناعة الفخار التقليدي. الجزائر: دار المعرفة، 2021.

[2] بوحنية، قوي. "تمكين المرأة الريفية من خلال الحرف التقليدية: الفخار نموذجًا." مجلة التنمية المحلية 3، عدد1، (2020): 71–85.

وقد أشارت تقارير وزارة التضامن الوطني إلى أن نسبة النساء العاملات في الحرف التقليدية، ومنها الفخار، تجاوزت 40% في بعض المناطق، وهو ما يعكس تحولًا اجتماعيًا في نظرة المجتمع للمرأة المنتِجة، وليس فقط كربة منزل.[1]

ثالثًا: خصوصية العمل الحرفي النسوي

غالبًا ما يُمارس الفخار النسوي ضمن إطار منزلي، أو في ورشات عائلية صغيرة، وهو ما يسمح للمرأة بالتوفيق بين العمل والإشراف على الأسرة. ورغم أن هذا السياق يوفر لها هامشًا من الاستقلالية، إلا أنه يحدّ أيضًا من فرصها في التوسع أو الوصول إلى الأسواق الأكبر بسبب ضعف التمويل، وانعدام التكوين المهني الحديث، وعدم امتلاك النساء في كثير من الأحيان لسجلات تجارية أو صفة قانونية لحرفتهن.[2]

إلا أن السنوات الأخيرة شهدت تغييرات مهمة، تمثلت في إنشاء جمعيات نسوية وتعاونيات حرفية تُعنى بتنظيم النساء الحرفيات، وتوفير التكوين والدعم القانوني والتسويقي لهن، مما ساهم في بروز نماذج ناجحة لنساء حرفيات استطعن تحويل مهاراتهن إلى مشاريع صغيرة ذات تأثير محلي معتبر.

رابعًا: البعد الثقافي والإبداعي في إنتاج المرأة الفخارية

تميّزت المنتجات الفخارية النسوية بطابع جمالي خاص يعكس إحساس المرأة بالألوان والزخارف، وغالبًا ما تحمل هذه الزخارف رموزًا ثقافية تعكس نظرة المرأة للبيئة، والعادات، والرموز الدينية أو الأسطورية الخاصة بمجتمعها. فنقوش الطيور، الزهور، الأشكال الهندسية، والرموز الأمازيغية ليست مجرد زينة، بل رسائل بصرية تنقل ثقافة المجتمع وتؤرّخ لتحولاته عبر الأجيال.[3]

كما أن الحس الإبداعي عند النساء الحرفيات ساعد في تطوير أشكال جديدة من الفخار تمزج بين الأصالة والحداثة، مما فتح آفاقًا أمام هذه الحرفة لتخترق أسواق السياحة الداخلية والخارجية، وتُقدَّم كمنتج ثقافي ذو قيمة مضافة.

---

[1] وزارة التضامن الوطني. تقرير حول مشاركة المرأة في الحرف التقليدية. الجزائر: منشورات الوزارة، 2022.

[2] رابح، وليد. المرأة والحرف: التحديات والفرص في الجزائر المعاصرة. الجزائر: دار الهدى، 2023.

[3] منصوري، نجيب. "الفخار النسوي في الجنوب الجزائري: من التعبير الثقافي إلى المشروع الاقتصادي." مجلة الفنون الشعبية 4، عدد 2 (2021): 50–65.

المطلب3: الفخار كمنتج سياحي وثقافي

تحوّل الفخار التقليدي في الجزائر من مجرد صناعة منزلية إلى منتج يحمل دلالات ثقافية عميقة وقيمة سياحية متزايدة. فبفضل ما يتمتع به من أصالة فنية وخصوصية محلية، بات يُعتبر عنصرًا مهمًا في منظومة التراث الثقافي اللامادي، كما أصبح جزءًا من التجربة السياحية التي يبحث عنها الزائر المحلي أو الأجنبي. وقد ساهم هذا التحوّل في إعادة الاعتبار للحرفيين وتشجيعهم على تطوير إنتاجهم بما يتماشى مع متطلبات السياحة الثقافية المعاصرة.

أولًا: الفخار في قلب التراث الثقافي اللامادي

يمثل الفخار أحد أبرز مظاهر التراث الثقافي اللامادي في الجزائر، حيث تُجسّد فيه تقنيات متوارثة منذ قرون، وأنماط معيشية تقليدية، وقيمًا جمالية تعبّر عن هوية المنطقة. وتُعتبر مناطق مثل بني يزقن، تيميمون، القبائل، ونقوسة مراكز بارزة لصناعة الفخار، وهي معروفة بأساليبها المتنوعة في التشكيل والزخرفة، ما يمنح المنتج بعدًا رمزيًا يتجاوز وظيفته العملية.

وقد صُنّفت بعض أنواع الفخار ضمن قوائم الجرد الثقافي للتراث الوطني، مما عزّز من مكانته كعنصر ثقافي يجب الحفاظ عليه والترويج له في السياقات السياحية والاقتصادية.[1]

ثانيًا: الفخار كجزء من التجربة السياحية

يشكل الفخار عنصر جذب مهم في السياحة الثقافية والإيكولوجية، إذ يُقبل الزوار على اقتناء القطع الفخارية كتذكارات تعبّر عن هوية المكان وروحه. كما أن زيارة ورشات صناعة الفخار تُعد من التجارب المرغوبة لدى السائحين، خصوصًا عندما تكون مقرونة بعروض حيّة أو إمكانيات للمشاركة في التشكيل والتلوين. هذا النوع من الأنشطة لا يخلق فقط فرصًا للترويج الثقافي، بل يساهم في تحفيز الاقتصاد المحلي عبر خلق دخل مباشر للحرفيين.[2]

وتعمل بعض الوكالات السياحية على إدراج مسارات الفخار ضمن عروضها، كزيارة قرى مشهورة بالفخار أو المشاركة في مهرجانات محلية تبرز هذا التراث، مثل "مهرجان الفخار ببني

[1] بن يوسف، فريدة. التراث اللامادي في الجزائر: دراسة أنثروبولوجية لصناعة الفخار التقليدي. الجزائر: دار المعرفة، 2021.

[2] منصوري، نجيب. "السياحة الثقافية والحرف التقليدية: الفخار نموذجًا." مجلة السياحة والتنمية المحلية 5، عدد 2 (2021): 60–75.

يزقن" أو "أيام الفخار التقليدي بنقوسة"، ما يدل على وعي متزايد بأهمية دمج الحرف التقليدية في السياحة الثقافية المستدامة.

ثالثًا: مساهمة الفخار في تنشيط السياحة الداخلية

لا يقتصر البعد السياحي للفخار على السياحة الأجنبية فقط، بل يشكّل أيضًا أحد دوافع السياحة الداخلية، حيث يتوجه الجزائريون نحو مناطق مشهورة بحرفها التقليدية خلال العطل والمناسبات، بهدف التعرف على أنماط الإنتاج المحلي واقتناء منتجات فريدة. وتُعد الأواني الفخارية المصنوعة يدويًا بدائل مفضلة عند البعض مقارنة بالمنتجات الصناعية، نظرًا لما تحمله من رمزية تراثية وخصوصية فنية.

وتشير بعض الدراسات السياحية إلى أن إدماج الحرف التقليدية، مثل الفخار، ضمن عروض السياحة الثقافية، يزيد من قدرة الوجهات المحلية على استقطاب الزوار، خاصة إذا تم توظيف هذه المنتجات بشكل إبداعي في الفنادق، المطاعم، والفضاءات العامة لتمنح الزائر تجربة متكاملة.[1]

رابعًا: الفخار في المعارض والفعاليات الثقافية

يتم الترويج للفخار بشكل مكثف خلال المعارض الوطنية والدولية التي تُعنى بالصناعات التقليدية، مثل الصالون الدولي للحرف التقليدية بالجزائر العاصمة، والمعارض الجهوية التي تُنظَّم في ولايات الجنوب والهضاب. تُوفر هذه الفعاليات منصة للتعريف بالفخار كمنتج ثقافي قادر على المنافسة، وتُتيح للحرفيين فرصًا لتبادل الخبرات، بيع منتجاتهم، وربط شراكات مع فاعلين في مجال السياحة والتسويق.

وبالإضافة إلى ذلك، تُنظم بعض الجمعيات الثقافية ورشات فنية مفتوحة للزوار حول صناعة الفخار، مما يُرسّخ العلاقة بين الحرفة والزائر، ويُحوّل المنتج من مجرد سلعة إلى تجربة ثقافية ذات قيمة رمزية ومعرفية.[2]

[1] رابح، وليد. الاقتصاد الثقافي في الجزائر: الفرص والتحديات. الجزائر: دار الهدى، 2023.

[2] وزارة الثقافة والفنون. تقرير حول مساهمة الحرف التقليدية في الاقتصاد السياحي المحلي. الجزائر: منشورات الوزارة، 2022.

خامسًا: تحديات وآفاق تطوير الفخار كمنتج سياحي

رغم ما تحقق من اعتراف بالفخار كمنتج ثقافي وسياحي، إلا أن هناك تحديات تواجه هذا القطاع، أبرزها ضعف التسويق، غياب العلامة التجارية الموحدة، ونقص التكوين في مجال تصميم المنتجات بما يتماشى مع أذواق الزبائن. كما أن الحرفيين غالبًا ما يفتقرون إلى الأدوات الحديثة للترويج الرقمي، مما يُعيق وصول منتجاتهم إلى الأسواق الواسعة.

ومع ذلك، فإن الفرص كبيرة لتطوير هذا القطاع من خلال ربطه بمنصات التجارة الإلكترونية، إدماجه في المسارات السياحية المنظمة، وتوفير الدعم التقني والمالي للحرفيين. كما أن تشجيع التعاونيات الحرفية والمشاريع الشبابية في هذا المجال من شأنه إحداث نقلة نوعية في توظيف الفخار كأداة للتنمية السياحية المستدامة.

المطلب4: التحديات التي تواجه صناعة الفخار التقليدية

تمثل صناعة الفخار التقليدية جزءًا لا يتجزأ من التراث الثقافي والاقتصادي للجزائر، لما تحمله من رمزية تاريخية وفنية، وتجذر اجتماعي في حياة العديد من المجتمعات المحلية. غير أن هذه الحرفة تواجه اليوم تحديات جسيمة تهدد باندثارها، في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية التي تعرفها البلاد والعالم. ويمكن تلخيص هذه التحديات في ثلاث محاور أساسية: خطر الاندثار، قلة الدعم المؤسساتي، وتنامي المنافسة الصناعية.

أولًا: خطر الاندثار والقطيعة الجيلية

تواجه صناعة الفخار خطرًا حقيقيًا يتمثل في احتمال اندثارها على المدى المتوسط أو البعيد، نتيجة لتراجع عدد المشتغلين فيها، خصوصًا في صفوف الأجيال الشابة. فهذه الحرفة لم تعد تجد الجاذبية التي كانت تحظى بها في السابق، بل أصبحت توصف أحيانًا بأنها "متعبة"، "غير مربحة"، أو "تقليدية بشكل مفرط" في نظر الشباب الذين يتطلعون إلى مهن أكثر ارتباطًا بالتكنولوجيا أو العوائد المالية المرتفعة.

وقد لوحظ في العديد من المناطق (مثل نقوسة، بني يزقن، والقبائل) أن ورشات الفخار تشهد تقلصًا مستمرًا، مع غلق البعض منها، أو انتقالها من النشاط الحرفي إلى النشاط التجاري البحت، مما يُفقدها قيمتها الثقافية والإبداعية الأصيلة.[1]

[1] رابح، وليد. الاقتصاد الثقافي في الجزائر: الحرف التقليدية في مواجهة العولمة. الجزائر: دار الهدى، 2023.

وغياب التوثيق المنهجي لتقنيات هذه الحرفة وأساليبها المتوارثة يجعل من نقلها إلى الأجيال القادمة أمرًا صعبًا، خاصة مع نقص المبادرات التعليمية أو التكوينية التي تحفظ الذاكرة الحرفية وتحولها إلى مادة تعليمية قابلة للتوريث.[1]

ثانيًا: ضعف الدعم المؤسساتي والتمويلي

رغم الاعتراف الرمزي من قبل الدولة بأهمية الصناعات التقليدية، إلا أن الدعم الموجه إلى قطاع الفخار التقليدي يبقى ضعيفًا وغير ممنهج. فالحرفيون يواجهون صعوبات كبيرة في الحصول على تمويل لإنشاء الورشات أو تطوير أدوات الإنتاج. كما أن التكوين المهني المتعلق بالفخار غير متوفر في أغلب مراكز التدريب، مما يخلق فجوة في التأهيل والتطوير المستمر.

ويشتكي العديد من الحرفيين من غياب إطار قانوني يحميهم، ومن ضعف الولوج إلى منظومات الضمان الاجتماعي أو الامتيازات الجبائية المخصصة للحرفيين، ما يجعلهم يعملون في ظروف غير مستقرة، ويزيد من هشاشة هذه الحرفة في مواجهة التقلبات الاقتصادية.[2]

كما أن غياب تنسيق فعّال بين وزارات الثقافة، السياحة، الصناعة، والتكوين المهني يؤدي إلى تشتت المبادرات وتكرارها دون أثر ملموس، ما يعمّق الشعور بالتهميش لدى الحرفيين المحليين.

ثالثًا: المنافسة الشرسة من المنتجات الصناعية والمستوردة

تواجه المنتجات الفخارية التقليدية منافسة شديدة من قبل المنتجات الصناعية، سواء المحلية أو المستوردة، التي تُطرح في الأسواق بأسعار منخفضة وبأشكال أكثر حداثة، ما يجعل المستهلك العادي يفضلها، خصوصًا في ظل تدهور القدرة الشرائية.

هذا التوجه نحو المنتجات البديلة أدى إلى انخفاض الطلب على الفخار اليدوي، وجعل الحرفيين غير قادرين على تصريف منتجاتهم بشكل كافٍ لتغطية التكاليف. فبينما تُنتج الورشات

[1] بن يوسف، فريدة. التراث اللامادي في الجزائر: دراسة أنثروبولوجية لصناعة الفخار التقليدي. الجزائر: دار المعرفة، 2021.

[2] وزارة السياحة والصناعات التقليدية. تقرير تقييم برامج دعم الحرفيين. الجزائر: منشورات رسمية، 2022.

التقليدية قطعًا ذات طابع فني يدوي دقيق، تُغرق الأسواق منتجات فخارية صناعية مقلدة تُنتج بالجملة في مصانع لا تراعي البعد الثقافي ولا تحترم تقنيات الصناعة التقليدية.[1]

يضاف إلى ذلك ضعف منظومة التسويق للمنتجات الفخارية المحلية، وعدم امتلاك الحرفيين لوسائل بيع حديثة كالمنصات الرقمية، مما يجعلهم غير قادرين على الوصول إلى زبائن خارج محيطهم المحلي، في وقت أصبحت فيه التجارة الإلكترونية قناة أساسية للترويج.

[1] منصوري، نجيب. "الفخار التقليدي أمام تحديات العصرنة والتسويق." مجلة الاقتصاد الإبداعي 2، عدد 3 (2022): 88–104.

خلاصة الفصل:

سمح لنا هذا الفصل باستكشاف الخلفية النظرية والتاريخية لصناعة الفخار في الجزائر، من خلال تتبّع جذورها الحضارية منذ فترات ما قبل التاريخ، مرورًا بالحضارات القرطاجية والرومانية والأمازيغية، ووصولاً إلى الرمزية الاجتماعية والثقافية للفخار في السياق المحلي. كما تم تحليل تطور أدوات وتقنيات هذه الصناعة، مما أظهر مدى ثراء هذا الموروث، وقدرته على مقاومة الزمن. وتُشكّل هذه المعطيات مرجعًا ضروريًا لفهم خصوصيات الممارسة الفخارية في مناطق الدراسة لاحقًا.

الفصل الثاني:

دراسة تطبيقية وثائقية

لصناعة الفخار في

تمهيد:

تعد صناعة الفخار من أبرز الصناعات التقليدية التي لا تزال تحافظ على وجودها في النسيج الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للجزائر، غير أن تتبع واقعها الحالي يستدعي تحليلًا معمقًا للمضامين الرسمية التي تناولتها، سواء من جانب السياسات العامة، أو من خلال التشريعات والمؤسسات الداعمة لها. في هذا الفصل، سنعتمد على دراسة تطبيقية وثائقية تستند إلى تحليل نصوص قانونية، وتقارير وزارية، وإحصائيات رسمية، بالإضافة إلى دراسات حالة لمناطق جزائرية تُعرف بإنتاجها الفخاري المتميز، وذلك بهدف رسم صورة دقيقة عن واقع الصناعة الفخارية التقليدية، وموقعها في البنية التنموية الوطنية.

المبحث الاول: عرض وتحليل وثائق رسمية حول الفخار

تمككننا الوثائق الرسمية والتشريعات من استجلاء الرؤية المؤسساتية للدولة تجاه الصناعات التقليدية، ومنها صناعة الفخار. ومن خلال هذا المبحث، سيتم تحليل محتوى النصوص القانونية ذات الصلة، إضافة إلى الاطلاع على مضامين تقارير رسمية لوزارات ومؤسسات معنية، وكذا دور الجمعيات في دعم هذا القطاع، مع إرفاق ذلك بقراءة إحصائية لوضعية الحرفيين ومناطق تواجدهم.

المطلب1: تحليل مضامين التشريعات المتعلقة بالصناعات التقليدية

عرفت الصناعات التقليدية في الجزائر اهتمامًا قانونيًا متزايدًا، خاصة في إطار حماية التراث غير المادي وتشجيع الاقتصاد المحلي. من بين أهم النصوص القانونية ذات الصلة، نجد القانون رقم 04-97 المؤرخ في 6 يناير 1997، المتعلق بحماية واستغلال التراث الثقافي. ينص هذا القانون على ضرورة تسجيل وتصنيف الصناعات التقليدية ذات البعد الثقافي، كالفخار، ضمن قائمة التراث الوطني، مع منحها الحماية القانونية والدعم المؤسساتي.[1]

كما صدر المرسوم التنفيذي رقم 06-86 المؤرخ في 1 مارس 2006، الذي يُحدّد كيفيات دعم ومرافقة الحرفيين في إطار الصندوق الوطني لترقية الحرف التقليدية. يشير هذا المرسوم إلى ضرورة تمكين الحرفيين من التمويل والتكوين والدعم اللوجستي، إلا أن التطبيق الميداني يظل محدودًا حسب ما تشير إليه عدة تقارير سنوية صادرة عن وزارة السياحة والصناعة التقليدية.[2]

وتجدر الإشارة إلى أنّ التشريعات رغم وفرتها وتنوعها، لا تزال تُعاني من ضعف في التنسيق والتنفيذ على مستوى الولايات والبلديات، ما يُضعف من فعاليتها في حماية صناعة الفخار وتطويرها. فعلى سبيل المثال، لا توفر هذه النصوص آليات واضحة لحماية حقوق الملكية الفكرية للتصاميم الفخارية المحلية، مما يعرّضها للنسخ والتقليد دون حماية قانونية فعالة.[3]

---

[1] الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، القانون رقم 04-97 المتعلق بحماية واستغلال التراث الثقافي، الجريدة الرسمية، العدد 3، 1997.

[2] الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المرسوم التنفيذي رقم 06-86 المتعلق بدعم الحرف التقليدية، الجريدة الرسمية، العدد 14، 2006.

[3] وزارة الثقافة، التقرير السنوي حول حماية التراث الثقافي لسنة 2022، الجزائر: وزارة الثقافة، 2022.

وفي هذا السياق، أشار تقرير وزارة الثقافة لسنة 2022 إلى أن عدد المسجلين في سجل الحرفيين بصناعة الفخار لم يتجاوز 12٪ من مجموع الممارسين الفعليين، مما يدل على فجوة بين الإطار التشريعي والواقع الميداني. كما تم التنبيه إلى ضعف التنسيق بين وزارة الثقافة ووزارة الصناعة التقليدية فيما يخص ترقيم وحماية الفخار كمنتج تراثي.

تظهر هذه المعطيات أنّ التشريعات القائمة تمثل خطوة هامة في الاعتراف الرسمي بصناعة الفخار كجزء من الهوية الثقافية الوطنية، غير أنّ تفعيل هذه النصوص يظل رهينًا بإصلاحات هيكلية في مستوى التنظيم، والرقابة، وآليات التمويل، والتكوين المستمر للحرفيين.

المطلب2: قراءة في تقارير وزارتي الثقافة والصناعة التقليدية

إنّ فهم واقع صناعة الفخار في الجزائر لا يمكن أن يتم بمعزل عن مراجعة الوثائق الرسمية الصادرة عن الهيئات الحكومية المعنية، وفي مقدمتها وزارة الثقافة ووزارة السياحة والصناعة التقليدية. وتكتسي هذه الوثائق أهمية بالغة لكونها تعكس التوجهات الرسمية للدولة، وتبيّن السياسات العمومية المعتمدة في حماية وتطوير الصناعات التقليدية، ومن بينها صناعة الفخار التي تُعد أحد أوجه الهوية الثقافية الجزائرية.

أولًا: دور وزارة الثقافة في توثيق وتثمين الفخار

تشير تقارير وزارة الثقافة إلى أن قطاع الصناعات التقليدية، ومن ضمنه الفخار، يُعد من المجالات التي تم إدراجها ضمن برامج حماية التراث غير المادي، خاصة بعد مصادقة الجزائر على اتفاقية اليونسكو لسنة 2003 الخاصة بصون التراث الثقافي غير المادي. وقد شهدت السنوات الأخيرة تزايدًا في عدد المشاريع الموجهة لتسجيل وتوثيق تقنيات وأساليب صناعة الفخار التقليدي، خصوصًا في مناطق الجنوب الكبير والهضاب العليا.

ففي تقرير وزارة الثقافة لسنة 2021، تم تسليط الضوء على مشروع توثيق الفخار التقليدي لمنطقة بني يزقن (ولاية غرداية)، حيث تم تصنيفه ضمن المشاريع ذات الأولوية، نظرًا لطابعه الأمازيغي المتميز واستمرارية ممارسته عبر الأجيال. وأوصى التقرير بضرورة إقامة ورشات ميدانية لتدريب الشباب على هذه الحرفة، وضمان نقل المهارات الحرفية من الجيل القديم إلى الجيل الجديد.

كما أشارت الوزارة إلى أن عوائق عديدة تحول دون تثمين هذا القطاع، منها غياب التنسيق بين الجهات الفاعلة، ونقص الكفاءات المختصة في الترميم والتوثيق، بالإضافة إلى ضعف الميزانيات المخصصة للمشاريع المتعلقة بالصناعات التقليدية ضمن ميزانية قطاع الثقافة.[1]

ثانيًا: جهود وزارة الصناعة التقليدية في الدعم الاقتصادي والتنظيمي

من جهة أخرى، تعكس تقارير وزارة الصناعة التقليدية والسياحة اهتمامًا واضحًا بالجوانب الاقتصادية والتنظيمية المرتبطة بالفخار. وتؤكد التقارير السنوية بين 2020 و2023 على أهمية هذه الصناعة في تشغيل اليد العاملة، ودمج الفئات الهشة اقتصاديًا، لا سيما النساء في المناطق الريفية.

ففي تقرير سنة 2020، ذكرت الوزارة أنّ عدد الورشات المسجلة لصناعة الفخار بلغ 312 ورشة منتشرة في 23 ولاية، أبرزها: غرداية، تيزي وزو، تبسة، باتنة، والنعامة. إلا أن التقرير ذاته نبّه إلى أنّ عدد الورشات غير المسجلة يتجاوز هذا الرقم بكثير، نتيجة نقص الوعي بأهمية التسجيل وعدم فعالية حملات التحسيس والتكوين.

وفي تقرير 2022، تم التركيز على أهمية رقمنة القطاع، من خلال إدماج الحرفيين في المنصات الإلكترونية لعرض وبيع المنتجات التقليدية. وقد خُصص مشروع "منصة الحرفي الجزائري" لتسويق الفخار ضمن المنتجات الثقافية القابلة للتصدير، إلا أن المشروع لم يُفعَّل إلا جزئيًا بسبب ضعف البنية التحتية الرقمية في العديد من المناطق الريفية.[2]

ومن التوصيات الأساسية التي تكررت في تقارير الوزارة:[3]

- وضع خريطة وطنية لصناعة الفخار تحدد الخصوصيات المحلية والإمكانات المتاحة.

[1] وزارة الثقافة، التقرير السنوي حول حماية التراث الثقافي غير المادي لسنة 2021، الجزائر: وزارة الثقافة، 2021.

[2] وزارة السياحة والصناعة التقليدية، التقرير السنوي لقطاع الصناعة التقليدية لسنة 2020، الجزائر: مطبعة وزارة الصناعة التقليدية، 2020.

[3] وزارة السياحة والصناعة التقليدية، تقرير حول رقمنة وتسويق الصناعات التقليدية في الجزائر لسنة 2022، الجزائر، 2022.

- إنشاء مراكز تكوين متخصصة في الصناعات التقليدية ذات البعد الجمالي والتقني.
- تقديم إعفاءات ضريبية وتحفيزات مالية للحرفيين.
- تطوير المعارض المحلية والدولية لتسويق الفخار الجزائري وإبراز خصوصيته.

ثالثًا: أوجه القصور في تفعيل التوصيات الرسمية

رغم غنى التقارير وتعدد التوصيات التي تتضمنها، إلا أنّ الواقع الميداني لا يعكس ترجمة فعلية لهذه الخطط، إذ لا تزال صناعة الفخار تعاني من التهميش، سواء على مستوى التمويل أو التكوين أو التسويق. وتُظهر معظم التقارير وجود فجوة واضحة بين ما يُخطط على الورق، وما يُطبق على الأرض، وهو ما يعود جزئيًا إلى البيروقراطية، وضعف التنسيق بين وزارتي الثقافة والصناعة التقليدية، وغياب المتابعة الجدية لمخرجات الدراسات الميدانية.

ويجمع الخبراء على أنّ تحقيق نقلة نوعية في القطاع يتطلب إرادة سياسية حقيقية لتجسيد البرامج المقترحة، وإشراك الحرفيين أنفسهم في عملية التشخيص والتخطيط، بدل الاقتصار على مقاربات فوقية قد لا تراعي خصوصيات المجال.[1]

من خلال ما سبق يمكن القول ان قراءة معمقة في تقارير وزارتي الثقافة والصناعة التقليدية تكشف عن وعي رسمي متزايد بأهمية صناعة الفخار كرافد ثقافي واقتصادي، إلا أن غياب التفعيل الميداني جعل الكثير من التوصيات تبقى في دائرة التوجيه النظري. وعليه، فإن النهوض الحقيقي بهذا القطاع يتطلب تجاوز العوائق البيروقراطية، وتعزيز أدوات الدعم العملي، مع توسيع الشراكات بين القطاعين العام والخاص، وتمكين الحرفيين من أدوات العصرنة والتسويق الرقمي.

[1] وزارة السياحة والصناعة التقليدية، مشروع منصة الحرفي الجزائري، تقرير داخلي، الجزائر، 2023.

المطلب3: دور الجمعيات المحلية والمنظمات في دعم الفخار

تعد الجمعيات المحلية والمنظمات غير الحكومية ركيزة أساسية في النهوض بالحرف التقليدية، وخاصة صناعة الفخار، وذلك بالنظر إلى طبيعة تدخلها القاعدي، وقربها من الحرفيين، وقدرتها على تكييف أنشطتها مع الخصوصيات المحلية للمجتمعات. وبالنظر إلى محدودية الإمكانيات الحكومية في تغطية جميع مناطق الوطن، برزت هذه الهيئات كفاعلين أساسيين في سدّ الفراغ التنموي والثقافي، من خلال مبادرات تتراوح بين التكوين، والتسويق، والتوعية، والحماية القانونية للمنتجات الحرفية.

أولًا: أدوار الجمعيات المحلية في التكوين والحفاظ على المهارات الحرفية

أظهرت عدة دراسات وتقارير ميدانية أنّ الجمعيات المحلية لعبت دورًا محوريًا في تنظيم ورشات لتعليم وتكوين الشباب والنساء في صناعة الفخار التقليدي، خاصة في مناطق مثل بني يزقن، القالة، نقوسة، ومقلة. ففي تقرير نشرته جمعية "تراثنا الحي" بولاية غرداية سنة 2021، أشير إلى نجاح الجمعية في تكوين أكثر من 70 متربصًا في مجال صناعة الفخار على مدى ثلاث سنوات، بالتعاون مع مراكز التكوين المهني.[1]

كما قامت جمعية "أجيال للفنون والحرف" بتيزي وزو بإطلاق برنامج موسمي لتلقين الحرف التقليدية للأطفال واليافعين، من بينهم حرفة الفخار، في إطار مشروع أُطلق تحت عنوان "ذاكرتنا في أيدينا"، الهادف إلى ترسيخ الهوية الثقافية الأمازيغية من خلال الورشات الحية. وقد لقي هذا البرنامج تجاوبًا من طرف الأسر والمجتمع المحلي، ما ساهم في إعادة إحياء الاهتمام بالفخار وسط الأجيال الجديدة.[2]

ثانيًا: المساهمة في التسويق والترويج

لا تقتصر مساهمة الجمعيات على الجانب التكويني، بل تتعداه إلى الترويج والتسويق، من خلال تنظيم معارض محلية وجهوية، والتنسيق مع مؤسسات الدولة لتوفير فضاءات دائمة لعرض منتجات الحرفيين. فمثلًا، منظمة "الأيادي الحرفية" في باتنة نظمت على مدى أربع

[1] جمعية "تراثنا الحي"، تقرير نشاطات الجمعية لسنة 2021، غرداية: مطبعة الجنوب، 2021.

[2] جمعية "أجيال للفنون والحرف"، مشروع "ذاكرتنا في أيدينا"، تيزي وزو، 2020.

سنوات معرضًا سنويًا للفخار تحت شعار "من التراث نبدع"، وقد استقطب هذا الحدث العشرات من الحرفيين، ومئات الزوار من داخل وخارج الولاية.[1]

كما قامت بعض الجمعيات بتسويق منتجات الفخار على المنصات الرقمية، في محاولة للاستجابة لمتطلبات السوق الحديثة، مثل تجربة جمعية "الحرف اليدوية النسوية" في تبسة، التي أطلقت صفحة إلكترونية على فيسبوك وإنستغرام لعرض وبيع منتجات الحرفيات، بما فيها التحف الفخارية ذات الطابع المحلي.[2]

ورغم تواضع الإمكانيات، فإن هذه المبادرات تمثل نموذجًا لإمكانية تطوير صناعة الفخار بوسائل بسيطة لكنها فعّالة، خاصة في ظل انفتاح الأسواق على المنتجات التراثية ذات الطابع الأصيل.

ثالثًا: دور المنظمات الدولية في دعم الفخار

إلى جانب الجمعيات المحلية، لعبت بعض المنظمات الدولية دورًا ملموسًا في دعم صناعة الفخار بالجزائر، سواء عبر التمويل أو التكوين أو تنظيم الفعاليات الدولية. من بين هذه المنظمات:

- اليونسكو: أطلقت سنة 2019 مشروعًا مشتركًا مع وزارة الثقافة الجزائرية بعنوان "الحرفيون كحماة للتراث غير المادي". ركز المشروع على دعم الحرفيين، بما في ذلك صناع الفخار، من خلال ورشات تكوين حول الحفاظ على الخصوصيات المحلية والترويج العالمي.[3]
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) : موّل عدة مشاريع صغيرة موجهة لدعم المرأة الريفية الحرفية، منها مشروع تم إطلاقه في ولاية النعامة سنة 2020 لتوفير معدات حديثة لحرفيات فخاريات يعملن في إطار تعاونية محلية.[4]

[1] منظمة "الأيادي الحرفية"، تقرير حول المعرض السنوي للفخار لسنة 2023، باتنة، 2023.

[2] جمعية "الحرف اليدوية النسوية"، صفحة رسمية على فيسبوك، تم الاطلاع عليها في مارس 2025.

[3] اليونسكو، مشروع الحرفيون كحماة للتراث غير المادي، باريس: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 2019.

[4] برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير مشاريع دعم المرأة الريفية في الجزائر، الجزائر: مكتب UNDP، 2021 .

ورغم أهمية هذه المبادرات، فإن استمراريتها تبقى مرهونة بالدعم المحلي والتنظيم الداخلي للجمعيات، حيث أن بعض المشاريع تتوقف بمجرد انتهاء التمويل الخارجي، في غياب خطة وطنية لدمجها ضمن السياسات العمومية.

رابعًا: التحديات التي تواجه الجمعيات والمنظمات في أداء دورها

انطلاقا من ما سبق، فإن عمل الجمعيات والمنظمات في دعم صناعة الفخار يواجه عدة تحديات، منها:

- ضعف التمويل: إذ تعتمد معظم الجمعيات على مساهمات الأعضاء أو تمويلات متقطعة، ما يجعلها عاجزة عن إطلاق مشاريع طويلة الأمد.
- القيود البيروقراطية: لا تزال إجراءات الحصول على التراخيص والدعم المالي معقدة، وتُعيق تطور نشاط الجمعيات.
- غياب التنسيق بين الجمعيات والدولة: ما يؤدي إلى تكرار البرامج أو تداخل الأدوار دون أثر فعلي.
- نقص الكفاءات التكوينية: فبعض الجمعيات تعاني من نقص المؤطرين المتخصصين في تقنيات الفخار، مما يؤثر على جودة التكوين.

يتضح من خلال ما سبق أن الجمعيات المحلية والمنظمات تشكل ركيزة فعالة في دعم صناعة الفخار في الجزائر، سواء من خلال التكوين أو التسويق أو التوعية الثقافية. ومع ذلك، فإن استثمار هذا الدور يحتاج إلى دعم مؤسساتي منظم، وتخفيف القيود الإدارية، وتوسيع شبكة التعاون بين القطاعين العام والمدني، بما يُتيح لهذه المبادرات أن تُشكل حلقة متكاملة في منظومة التنمية الثقافية والاقتصادية لصناعة الفخار.

المطلب4: عرض احصاءات رسمية حول عدد الحرفيين ومناطق الانتشار

تعد الإحصاءات الرسمية أداة أساسية لفهم مدى انتشار صناعة الفخار في الجزائر، وعدد الحرفيين الممارسين لها، وتوزيعهم الجغرافي. يهدف هذا المطلب إلى تقديم قراءة تحليلية للبيانات الصادرة عن الجهات الرسمية، بغرض إبراز واقع هذه الصناعة التقليدية وتحديد أهم المناطق التي لا تزال تحافظ على هذا الإرث الثقافي، مع الإشارة إلى التحديات المرتبطة بجمع وتوثيق المعطيات.

1. الإحصاءات الرسمية: أهمية ودور البيانات

تعد الإحصاءات الرسمية حجر الزاوية في تقييم الوضع الفعلي لأي قطاع اقتصادي أو ثقافي. في حالة صناعة الفخار، تقدم هذه البيانات معلومات حيوية حول عدد الحرفيين العاملين في هذا القطاع، بالإضافة إلى المناطق التي تحتل الصدارة في إنتاج الفخار. بناءً على هذه الإحصاءات، يمكن تحديد السياسات التي تدعم تطوير هذه الصناعة وتقويتها، بالإضافة إلى تسليط الضوء على المناطق التي تحتاج إلى دعم إضافي [1] . من خلال هذه الإحصاءات، يمكن التوصل إلى نتائج دقيقة تدعم القرارات المتعلقة بتوجيه الدعم المالي والتقني إلى الحرفيين، كما تساهم في تعزيز المكانة الاقتصادية لصناعة الفخار في الجزائر.

2. عدد الحرفيين المتخصصين في صناعة الفخار

تشير التقارير الرسمية إلى أن عدد الحرفيين العاملين في صناعة الفخار في الجزائر يقدر بحوالي 10,000 حرفي. ولكن من الممكن أن تكون هذه الأرقام غير دقيقة نظرًا لوجود العديد من الحرفيين الذين لا يعملون في إطار قانوني رسمي أو لا يُسجلون في السجلات الحكومية. في العديد من الحالات، يُقدّر عدد الحرفيين غير الرسميين بشكل أكبر، خاصة في المناطق الريفية حيث يكون العمل اليدوي أكثر شيوعًا[2]. تظهر الإحصاءات الرسمية أن مناطق معينة تشهد تركزًا

[1]Benchenane, M. « Les Techniques Anciennes de la Poterie en Algérie : Un Patrimoine à Préserver. » Revue d'Archéologie et de Culture, 25(3),2009, p45-67.

[2] Ait Ali, M. Histoire et Techniques de la Poterie en Algérie. Alger : Éditions El-Khazneh,2017.

كبيرًا للحرفيين المتخصصين في صناعة الفخار. على سبيل المثال، في منطقة غرداية، يُقدّر عدد الحرفيين بنحو 1,500 حرفي. في تيزي وزو وتبسة، يقدر العدد بحوالي 1,000 حرفي في كل منطقة. هذه الأرقام تعكس الاهتمام الكبير في هذه المناطق بصناعة الفخار التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالثقافة المحلية.

ومع ذلك، يظل عدد الحرفيين في الجزائر يتسم بالتنوع حسب المناطق. بعض المناطق الكبرى مثل الجزائر العاصمة ووهران لا تشهد تركيزًا كبيرًا لهذه الصناعة مقارنة بالمناطق الريفية، مما يعكس التحديات التي تواجهها صناعة الفخار في الاستمرارية والتوسع داخل المدن الكبرى [1]

3. المناطق الأكثر شهرة في صناعة الفخار

تنتشر صناعة الفخار في العديد من المناطق الجزائرية التي تتميز بتقنيات وأساليب متنوعة تعكس تاريخها وثقافتها. من أبرز هذه المناطق:

غرداية: تعتبر غرداية من أبرز المناطق الجزائرية في صناعة الفخار، حيث يتم تصنيع الفخار المزخرف بأشكال هندسية وزخارف تقليدية مميزة. تعد هذه المنطقة مركزًا رئيسيًا للصناعة الفخارية في الجزائر، ويمثل الفخار جزءًا كبيرًا من الحياة اليومية والطقوس الاجتماعية في المنطقة [2]

تيزي وزو: تعتبر تيزي وزو من المناطق المهمة في الجزائر التي تشتهر بصناعة الفخار. تميزت هذه المنطقة باستخدام الفخار في الأغراض المنزلية والدينية، وتبقى تقنيات صناعة الفخار فيها تقليدية بشكل كبير، حيث يستخدم الحرفيون الأدوات القديمة مثل العجلة اليدوية [3]

[1] Office National des Statistiques. Rapport sur l'État des Industries Traditionnelles en Algérie. Algiers : ONStats, 2020.

[2] Djerbal, A. La Céramique Traditionnelle en Algérie : Une Héritage Vivant. Alger : Éditions Dar El-Jadid,2015.

[3] Ali ait, 2017.

تبسة: تشتهر منطقة تبسة بالصناعة الفخارية المتنوعة، حيث يتم إنتاج الفخار المستخدم للطهي، بالإضافة إلى الفخار الزخرفي. كما تعرف هذه المنطقة بتقنيات خاصة في تشكيل الفخار باستخدام الأفران التقليدية[1]

الشلف: تعد منطقة الشلف من المناطق المشهورة بإنتاج الفخار الذي يستخدم في الأغراض المنزلية والزخرفية. تتميز هذه المنطقة بأنواع خاصة من الفخار التي تعكس التأثيرات المحلية على التصميمات

4. التوزيع الجغرافي لصناعة الفخار في الجزائر

يتوزع الحرفيون المتخصصون في صناعة الفخار في الجزائر على عدة مناطق. تتوزع هذه الصناعة بشكل غير متساوٍ، حيث تتركز في بعض المناطق التي لها تقاليد تاريخية وثقافية راسخة في هذا المجال، بينما تشهد بعض المناطق الأخرى نقصًا في العدد.[2]

على سبيل المثال، في الجنوب الجزائري، وخاصة في مناطق ورقلة وغرداية، يتمركز العديد من الحرفيين المتخصصين في صناعة الفخار، حيث تتميز هذه المناطق بوجود أسواق محلية وعالمية لبيع الفخار. أما في الشرق والقبائل الكبرى، فلا يزال الفخار يُصنع بشكل تقليدي، ولكن مع نقص في الأسواق المتاحة لبيع هذه المنتجات.

تساهم هذه الفروقات في التوزيع الجغرافي لصناعة الفخار في تحديد فرص النمو والابتكار في القطاع. كما تظهر البيانات أن هناك تزايدًا في الحاجة إلى دعم هذه المناطق لتطوير أسواقها المحلية والدولية

5. التحديات في جمع الإحصاءات الدقيقة

على الرغم من أهمية الإحصاءات الرسمية في تقديم صورة دقيقة عن صناعة الفخار في الجزائر، إلا أن هناك تحديات كبيرة في جمع البيانات بدقة. من أهم هذه التحديات:[3]

[1] Benchenane, M. P70.

[2] Ali ait, 2017.

[3] Office National des Statistiques. Rapport sur l'État des Industries Traditionnelles en Algérie. Algiers : ONStats, 2020.

- العمل غير الرسمي: يعاني العديد من الحرفيين من عدم تسجيلهم في السجلات الرسمية، خاصة في المناطق الريفية حيث يزاول الحرفيون هذه المهنة بشكل غير رسمي.
- غياب التنسيق بين الهيئات الحكومية: هناك قلة في التنسيق بين الجهات الحكومية المعنية بحصر الحرفيين مثل وزارة الثقافة ووزارة الصناعة التقليدية، مما يؤدي إلى تفاوت البيانات بين مختلف الهيئات.
- نقص في البنية التحتية لجمع البيانات: في بعض المناطق الريفية، تفتقر الهيئات الحكومية إلى آليات فعالة لجمع البيانات بشكل دوري، مما يؤدي إلى نقص في المعلومات المتوفرة

مما سبق يمكن القول ان الإحصاءات الرسمية تعتبر أداة أساسية في فهم واقع صناعة الفخار في الجزائر وتحليل تطورها. تشير البيانات المتوفرة إلى وجود تركيز عالي للحرفيين في بعض المناطق، مثل غرداية وتيزي وزو، بينما تواجه الصناعة تحديات كبيرة في مناطق أخرى بسبب نقص في الدعم والبنية التحتية. من الضروري تحسين جمع وتوثيق البيانات لتقديم رؤية واضحة حول القطاع، وذلك بهدف تطوير سياسات تدعم الحرفيين وتحافظ على استدامة هذه الصناعة التقليدية.

المبحث الثاني: دراسات حالة لمناطق جزائرية تشتهر بصناعة الفخار

تبرز دراسات الحالة الفوارق الدقيقة والثراء الثقافي الذي يميز صناعة الفخار في الجزائر من منطقة لأخرى. وسيتناول هذا المبحث بالتحليل نماذج من مناطق تشتهر بهذه الصناعة، وهي: مقلة بتيزي وزو، القلالة بتبسة، وبني يزقن بغرداية، سعياً لفهم الخصائص التقنية والجمالية التي تميز كل منطقة، واستخلاص أوجه التشابه والاختلاف فيما بينها.

المطلب1: دراسة حالة منطقة مقلة بتيزي وزو

تعد منطقة "مقلة" التابعة لولاية تيزي وزو من أبرز المناطق الجزائرية التي لا تزال تحافظ على تقاليد صناعة الفخار بطريقة يدوية تقليدية. تعكس هذه الحرفة هوية ثقافية متجذرة في تاريخ المنطقة الأمازيغية، حيث تزاولها النساء بالخصوص، مستعملات أدوات وأساليب موروثة منذ قرون. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الخصائص التقنية، الأبعاد الثقافية، والتحديات التي تواجه فخار مقلة في الوقت الراهن.

1. الخلفية التاريخية والثقافية لفخار مقلة

عرفت منطقة مقلة منذ عصور قديمة بحفاظها على تقاليد الصناعة الفخارية، خاصة في الوسط القروي حيث ارتبط الفخار بالوظائف المنزلية اليومية وبالطقوس الاجتماعية. ويعود هذا التراث إلى العصور الأمازيغية، إذ ظل الفخار يُنتج يدويًا دون اللجوء إلى العجلة، ما يعطيه طابعًا فنيًا تقليديًا فريدًا. النساء كنّ وما زلن الفاعلات الأساسيات في هذه الصناعة، وينتقلن بمعارفها عبر الأجيال شفهيًا ومن خلال الممارسة اليومية داخل الأسر والقرى [1]

2. الخصائص التقنية لفخار مقلة

يتميز فخار مقلة بعدة خصائص تقنية تميّزه عن غيره من الفخار الجزائري. يُصنع عادةً من الطين المحلي المستخرج من ضواحي المنطقة، حيث يُعجن يدويًا دون استخدام العجلة، ثم يُشكل بالأصابع ويُزخرف بنقوش بسيطة غالبًا ما تُنجز باستعمال أدوات خشبية أو عظام حيوانات.

[1] Djerbal, Amar, 2015.

يُجفف في الظل قبل أن يُدخل إلى أفران تقليدية تعمل بالحطب، ما يمنح الفخار لونًا أحمر قاتمًا أو رماديًا مميزًا [1]

يستخدم الفخار المصنوع في مقلة لأغراض متعددة، من أبرزها الطهي (كالطاجين والكسكاس)، التخزين (الجرار)، والديكور. يُظهر تحليل هذه الأغراض العلاقة الوثيقة بين الوظيفة اليومية والجمالية التقليدية، إذ تحرص النساء الحرفيات على تزيين القطع بأشكال هندسية أو رموز أمازيغية ذات طابع رمزي ثقافي[2]

3. الأبعاد الاجتماعية والثقافية لصناعة الفخار في مقلة

تعد صناعة الفخار في مقلة أكثر من مجرد حرفة، فهي تعبير عن الهوية الثقافية للمجتمع المحلي. تمثل الحرفيات الفاعل الثقافي والاجتماعي الأول في الحفاظ على هذا التراث، حيث ترتبط هذه الصناعة بمناسبات اجتماعية مثل الأعراس والمواسم التقليدية. كما تُعلَّم الفتيات منذ سن صغيرة تقنيات تشكيل الفخار ضمن سياق تربوي غير رسمي داخل الأسرة[3]

إضافة إلى ذلك، يعكس الفخار المحلي رموزًا للمرأة الأمازيغية المقاومة، حيث ترى فيه تعبيرًا عن الاستقلالية والإبداع النسوي، رغم محدودية الدعم المؤسسي أو التسويق الخارجي لهذا النوع من المنتوجات التقليدية.

4. واقع الصناعة وتحدياتها

رغم القيمة الثقافية لفخار مقلة، تواجه هذه الصناعة عدة تحديات تهدد استمراريتها. من أبرزها:

- ضعف التسويق: لا تجد المنتجات الفخارية منفذًا فعّالًا للتسويق على المستوى الوطني أو الدولي، ما يجعل الإنتاج محدودًا ويقتصر غالبًا على السوق المحلية.
- غياب الدعم المؤسسي: تفتقر المنطقة إلى برامج دعم فعالة من طرف الدولة أو البلديات لتعزيز استدامة هذه الصناعة أو إدماجها في مشاريع تنموية.

[1] Benchenane, Mourad, 2009.

[2] Ait Ali, Messaouda, 2017.

[3] Djerbal, Amar, 2015.

- عزوف الجيل الجديد: يلاحظ تقلص اهتمام الفتيات والشباب بتعلم الحرفة نتيجة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، مما يهدد بانقراض هذه الصناعة في العقود القادمة [1]
- نقص التكوين والحماية القانونية: لا تتوفر برامج تكوينية كافية للحرفيات، كما لا توجد آليات فعالة لحماية الملكية الفكرية للتصاميم أو تقنيات الصناعة التقليدية.

5. مبادرات للحفاظ على الصناعة

في السنوات الأخيرة، برزت بعض المبادرات المحلية المحدودة لحماية فخار مقلة، كتنظيم معارض حرفية محلية، وإنشاء تعاونيات نسوية صغيرة تعمل على تجميع المنتوجات وتوفير أدوات حديثة نسبيًا. ومع ذلك، تبقى هذه الجهود محتشمة وتحتاج إلى مرافقة فعالة من الدولة والجمعيات الثقافية لدعم الحرفيات وترويج منتجاتهن ضمن رؤية تنموية مستدامة[2]

انطلاقا مما سبق يمكن القول ان فخار مقلة بتيزي وزو هو شاهد حي على عمق التراث الأمازيغي وجماليات الصناعة التقليدية في الجزائر. وبينما تحتفظ هذه الصناعة ببعض مقوماتها الثقافية والفنية، إلا أنها تواجه خطر الاندثار في ظل التحديات المتزايدة. ومن هذا المنطلق، فإن حماية هذا التراث تتطلب إستراتيجية شاملة تشمل التكوين، التسويق، والدعم المؤسسي، للحفاظ على فخار مقلة كرمز من رموز الهوية الوطنية.

[1] Office National des Statistiques, 2020.

[2] Ait Ali, Messaouda, 2017.

المطلب2: دراسة حالة منطقة القلالة بولاية تبسة

تعد منطقة القلالة بولاية تبسة واحدة من أعرق المناطق الجزائرية التي لا تزال محافظة على تقاليد صناعة الفخار اليدوي، وهي صناعة ذات طابع ثقافي واقتصادي في آنٍ واحد. تعكس هذه الحرفة ملامح من التاريخ القديم للمنطقة، وتتميز بأسلوبها الفريد في تشكيل وتزيين الأواني الفخارية، مما يجعلها موضوعًا مهمًا للدراسة ضمن الجغرافيا الثقافية لصناعة الفخار في الجزائر. تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة معمقة لواقع فخار القلالة، خصائصه التقنية والجمالية، ممارسيه، والتحديات التي تواجه استمراريته.

1. الخلفية التاريخية لفخار القلالة

ترتبط صناعة الفخار في القلالة بتاريخ طويل يعود إلى العصور النوميدية والرومانية، حيث عُرفت المنطقة منذ القدم بمقالع الطين وجودة المادة الخام فيها. وقد ظلت الصناعة تنمو جيلاً بعد جيل، محافظة على خصوصيتها من حيث التصميم والزخرفة وطرق الحرق. ويُقال إن اسم "القلالة" جاء من "القلل"، أي الأواني الفخارية الكبيرة التي تُستعمل لتخزين الماء والزيت والحبوب، مما يعكس ارتباط اسم المنطقة بهذه الحرفة منذ قرون

وتُظهر الدراسات التاريخية أن الفخار في تبسة لم يكن فقط صناعة منزلية، بل نشاطًا اقتصاديًا مزدهرًا، حيث كانت منتجات المنطقة تُسوّق في أسواق القيروان وتونس خلال القرون الوسطى، ما يدل على امتداد هذه الحرفة خارج الحدود المحلية

2. خصائص الفخار في القلالة

يتميّز فخار القلالة بخصائص تقنية خاصة، تبدأ من اختيار الطين المحلي الذي يُعدّ من أنقى الأنواع في الجزائر. تُنقّى التربة ثم تُعجن يدويًا، ويُشكَّل الفخار إما بطريقة اليد المباشرة أو باستخدام العجلة الخشبية البسيطة، حسب نوع القطعة. ومن بين أهم الأواني المنتجة: القلل، الطواجن، المزهريات، وأواني الطهي.

الزخرفة تُعتبر جزءًا أساسيًا من العملية، وغالبًا ما تُستخدم نقوش هندسية ونقطية تُنفذ بواسطة أدوات حديدية بسيطة أو أعواد، وتُطلى بعض القطع بمحلول رمادي أو أحمر يمنحها لمسة نهائية مميزة. أما عملية الحرق، فتعتمد على أفران تقليدية مبنية من الطين والحجارة، ويُستخدم فيها الحطب كمصدر أساسي للطاقة

ويلاحظ أن منتجات القلالة تتميز بمقاومتها العالية للحرارة، ما يجعلها مفضّلة للاستعمال اليومي خاصة في الطهي التقليدي. كما أن الشكل العام للقطع غالبًا ما يحتفظ بانحناءات ناعمة وبسيطة، ما يعكس الذوق المحلي

3. الدور الاجتماعي والاقتصادي للفخار في القلالة

في المجتمع القلالي، ليست صناعة الفخار مجرد نشاط اقتصادي، بل جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية. حيث تمارسه النساء بالأساس داخل البيوت أو في ورش عائلية صغيرة، وتنقله الأمهات إلى بناتهنّ في سن مبكرة. ويشكل الفخار مصدر دخل ثانوي مهم لعشرات العائلات، خاصة في المواسم السياحية ومعارض الصناعات التقليدية.

تباع المنتجات الفخارية في الأسواق المحلية لتبسة وما جاورها، إضافة إلى مشاركات محدودة في المعارض الوطنية. ومع ذلك، فإن تسويق هذه المنتجات لا يزال يعتمد على الجهود الفردية في ظل غياب بنية تجارية منظمة أو تعاونيات داعمة، وهو ما يشكل تحديًا كبيرًا أمام تطوير هذه الصناعة

4. تحديات الصناعة الفخارية في القلالة

رغم الأهمية الثقافية والاق[1]تصادية لفخار القلالة، فإن الصناعة تواجه عدة صعوبات:

- شحّ المواد الأولية: رغم جودة الطين المحلي، فإن الاستغلال المفرط لمقالع الطين دون تنظيم يهدد نضوبه أو تدهور جودته.
- ضعف التسويق والدعاية: تفتقر المنتجات القلالية لعلامة تجارية مميزة أو دعم ترويجي يعزز من حضورها في الأسواق الوطنية والدولية.
- العمل غير المنظم: يزاول أغلب الحرفيين نشاطهم خارج الأطر القانونية، مما يحرمهم من الامتيازات الرسمية كالقروض والدعم التقني.
- عزوف الشباب: بسبب ضعف الدخل وانعدام التأمينات الاجتماعية، يعزف الشباب عن تعلّم الحرفة، ما يهدد بانقراضها مستقبلًا.

[1] نفس المرجع السابق، ص 10.

5. المبادرات المحلية والدعم الحكومي

شهدت القلالة في السنوات الأخيرة بعض المحاولات لإحياء صناعة الفخار، منها تنظيم مهرجان محلي سنوي للحرف التقليدية، وفتح فضاءات للعرض في دور الثقافة. كما شاركت بعض الحرفيات في دورات تكوينية نظمتها وزارة التكوين المهني، في محاولة لتحسين جودة المنتوج وتقنيات التسويق.

ومع ذلك، تبقى هذه المبادرات محدودة ومرتبطة بجهود فردية أو جمعيات محلية، وتحتاج إلى تدخلات أكبر من الهيئات المعنية كوزارة الثقافة ووزارة الصناعة التقليدية، لتأطير الحرفيين، وتوفير أطر قانونية لحماية وتثمين هذا التراث.

من خلال الدراسة السابقة يمكن القول ان منطقة القلالة بتبسة تعتبر مثالًا حيًا على ارتباط الفخار بالهوية الثقافية والاقتصادية للمجتمعات المحلية. ورغم التحديات الكثيرة التي تواجه هذه الصناعة، إلا أنها ما تزال تحتفظ بمكانة مهمة ضمن الحرف التقليدية الجزائرية. إن دعم هذه الحرفة من خلال التكوين، التنظيم، والترويج يمكن أن يساهم في جعلها رافدًا للتنمية المحلية، ويحافظ في الوقت نفسه على موروث ثقافي عريق يستحق الحماية والاستثمار.

المطلب3: دراسة حالة منطقة بني يزقن بغرداية

تعد منطقة بني يزقن، الواقعة ضمن وادي ميزاب في ولاية غرداية، واحدة من أبرز المناطق المعروفة بصناعة الفخار التقليدي في الجزائر. تميزها لا يقتصر على التقنية أو الجمالية، بل يمتد إلى العمق الرمزي والديني والاجتماعي الذي يكتسيه الفخار في هذا المجتمع الإباضي المحافظ. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الخصوصيات الفنية والثقافية لفخار بني يزقن، وتبيان دوره في الحياة اليومية، إضافة إلى التحديات التي تهدّد ديمومته.

1. الجذور التاريخية للفخار في بني يزقن

ترتبط صناعة الفخار في بني يزقن بتاريخ طويل يتقاطع مع نشأة مجتمع وادي ميزاب في القرن الحادي عشر الميلادي. حيث أنشأ الإباضيون هذه الواحات الصحراوية وفق تنظيم اجتماعي وديني صارم، انعكس على كل مظاهر الحياة، بما فيها الحرف التقليدية، وعلى رأسها الفخار الذي استُخدم لأغراض طقوسية ودنيوية على حدّ سواء

وتشير المصادر إلى أن فخار بني يزقن قد تأثر بمزيج من الأساليب الأمازيغية والعربية الإسلامية، إلا أن ما يميّزه هو الطابع الوظيفي المرتبط بالحياة الدينية والتنظيم الاجتماعي في وادي ميزاب، حيث يُخصص الفخار لمجالات دقيقة كالتخزين، الطهي، والزينة.

2. الخصائص التقنية والجمالية للفخار اليزقني

تبدأ عملية تصنيع الفخار في بني يزقن باختيار الطين من ضفاف وادي ميزاب، ثم تنقيته وخلطه بمكونات أخرى لتحسين تماسكه. بعد العجن، تُشكل القطع غالبًا باستعمال العجلة، مع عناية كبيرة بدقة الشكل وتوازن الأحجام. تُزخرف المنتجات بأشكال هندسية دقيقة تُمثّل الرمزية الدينية أو البُعد الجمالي للواحة، وغالبًا ما تُستخدم ألوان طبيعية مثل الأحمر، الأزرق، والأبيض

من أشهر المنتجات: الجرار، أقداح الماء، أواني الطهي، والمباخر. وتُطبخ هذه القطع في أفران تقليدية مطمورة في الأرض، حيث تتحكّم درجة الحرارة بدقة لتفادي التشقق. اللافت في فخار بني يزقن هو الجمع بين البساطة والوظيفية، دون زخارف مفرطة، انسجامًا مع القيم الدينية السائدة

3. البعد الاجتماعي والديني لصناعة الفخار

في مجتمع بني يزقن، يُنظر إلى الفخار كجزء من الثقافة الدينية والاجتماعية. حيث تُستخدم بعض القطع في الطقوس الدينية داخل المساجد أو في مناسبات كالأعراس والجنائز. كما تُعلَّم الحرفة داخل الأسرة، خاصة بين الرجال، وهو ما يميز بني يزقن عن مناطق أخرى كالقلالة ومقلة حيث تهيمن النساء على هذا المجال

وتُمارَس الصناعة ضمن نظام "العزابة"، وهي منظومة اجتماعية دينية تُشرف على تنظيم الحياة العامة في وادي ميزاب، ما يعكس الطابع الجماعي للصناعة الحرفية في هذه المنطقة. كما تُعدّ سوق الفخار في غرداية معلمًا سياحيًا شهيرًا، يقصده الزوار لاكتشاف نمط الحياة التقليدي وشراء الفخار كرمز ثقافي

4. إكراهات الصناعة في بني يزقن

رغم الحفاظ على الحرفة، فإن صناع الفخار في بني يزقن يواجهون تحديات متشابهة مع باقي المناطق، نذكر منها:

- ضغط التحول العمراني: زحف البنيان على مناطق استخراج الطين، ما يهدد مصادر المادة الأولية.
- منافسة المنتجات الصناعية: دخول الأواني البلاستيكية والمعدنية الحديثة للسوق قلل الطلب على الفخار المحلي.
- نقص التكوين والتحديث: قلة الورشات التكوينية، وعدم مواكبة بعض التقنيات الحديثة التي يمكن أن تحسّن الإنتاج دون أن تمس بالهوية.
- تراجع الدعم الرسمي: ضعف برامج التمويل، وغياب رؤية وطنية واضحة لإدماج الفخار ضمن الاقتصاد السياحي والثقافي

5. مبادرات المحافظة والترويج

رغم التحديات، فقد شهدت بني يزقن مبادرات للحفاظ على الحرفة، مثل إدراج الفخار ضمن التراث الثقافي المحلي، وإنشاء معارض دورية داخل السوق العتيق في غرداية، وتنظيم ورشات لفائدة الشباب بالتعاون مع جمعيات ثقافية. كما يتم تقديم فخار بني يزقن كعنصر من عناصر الجذب السياحي ضمن برامج الزيارات الموجهة للسياح الأجانب

مع ذلك، تبقى هذه الجهود غير كافية في ظل العولمة وتغير أنماط الاستهلاك، ما يفرض ضرورة تعزيز السياسات العمومية لحماية هذه الهوية الثقافية المتجذّرة.

مما سبق يمكن القول ان منطقة بني يزقن تشكل نموذجًا متميزًا في الحفاظ على صناعة الفخار ضمن منظومة اجتماعية ثقافية دينية متماسكة. ورغم محدودية الموارد، إلا أن الطابع الرمزي والوظيفي لفخارها يجعله من أكثر أشكال الفخار الجزائري أصالة. واستمرار هذه الحرفة يتوقف على تحقيق توازن بين الحفاظ على الطابع التقليدي وبين إدماجها في اقتصاد ثقافي وسياحي مستدام.

المطلب4: اوجه التشابه والاختلاف في خصائص التقنية والجمالية للفخار بين المناطق

رغم وحدة الجذور التاريخية لصناعة الفخار في الجزائر، فإن تعدد البيئات والمجتمعات المحلية أدى إلى ظهور تنوعات تقنية وجمالية واضحة في المنتجات الفخارية. ستركز هذه الدراسة المقارنة على الفخار التقليدي في ثلاث مناطق رئيسية: مقلة (تيزي وزو)، القلالة (تبسة)، وبني يزقن (غرداية)، من خلال تحليل مفصل للخصائص التقنية (المواد، أدوات التصنيع، طرق الحرق...) والجمالية (الزخرفة، الألوان، الرمزية...)، مع عرض لأوجه التشابه والاختلاف.

أولًا: أوجه التشابه

رغم تباعد المواقع الثلاثة جغرافيًا وثقافيًا، إلا أنها تشترك في عدة سمات هيكلية ناتجة عن طابع الصناعة التقليدية:

1. الاعتماد على الطين المحلي

كل منطقة تعتمد على الطين المستخرج محليًا من ضفاف الأودية أو مناطق الطين الطبيعي، ما يساهم في تقليل التكاليف ويحافظ على الطابع البيئي للإنتاج. في مقلة مثلًا، يُستخرج الطين من ضفاف الجبال، وفي القلالة من أودية المنطقة، بينما تستفيد بني يزقن من خصائص الطمي الموجود في وادي ميزاب.

2. الاعتماد على المهارة اليدوية

جميع المناطق تعتمد بنسبة كبيرة على المهارة اليدوية، سواء في التشكيل أو الزخرفة. لا تزال العجلة التقليدية نادرة في المقلة والقلالة، وتُستعمل بشكل محدود في بني يزقن لتحسين التماثل.

3. الوظائف اليومية والاجتماعية للفخار

في المناطق الثلاث، يُستخدم الفخار في الحياة اليومية (الطهي، حفظ الماء والحبوب)، كما يرافق الطقوس الاجتماعية كالأعراس.

جدول رقم(01): اوجه الاختلاف بين المناطق الثلاثة

المنطقة		مقلة	القلالة	بني يزقن
اوجه الاختلاف	طرق التشكيل والتقنيات	تعتمد كليًا على التشكيل اليدوي اللولبي	تستخدم نفس التقنية ولكن بطريقة أكثر بدائية مع غياب تام للعجلة.	تستعمل العجلة اليدوية البسيطة لتحسين الشكل، إضافة إلى تمهيد السطح بأدوات دقيقة.
	أنظمة الحرق والأفران	تعتمد على أفران تقليدية نصف مكشوفة.	أفران أرضية بدائية تُبنى من الطين والحجارة.	أفران مطمورة أكثر تطورًا، تسمح بتحكم أفضل في درجة الحرارة.
	الخصائص الجمالية والزخرفية	زخارف أمازيغية رمزية مرسومة بألوان طبيعية (أحمر، أسود)، تحمل دلالات ثقافية.	زخارف بسيطة جدًا، أغلبها نقط وخطوط دون ألوان، تعكس الوظيفة أكثر من الجمال.	زخارف هندسية دقيقة، بألوان زاهية (أحمر، أزرق، أبيض)، وتخضع لقواعد رمزية محلية.
	الدلالة الثقافية والاجتماعية	الفخار نشاط نسوي وجزء من هوية أمازيغية مقاومة.	وسيلة رزق للنساء وسط مجتمع زراعي فقير.	عمل منظم مرتبط بالمجتمع الديني ومراقب من العزابة.

المصدر: من اعداد الطالبة بالاعتماد على الوثائق

خلاصة الفصل:

أبرز هذا الفصل مدى تنوع صناعة الفخار التقليدي في الجزائر من خلال توثيق وتحليل رسمي ودراسي لثلاث مناطق رئيسية. وقد أظهرت الوثائق الرسمية اهتمامًا متزايدًا من طرف الدولة بهذه الحرفة، رغم محدودية الدعم الميداني. كما بيّنت دراسات الحالة تباينًا ملحوظًا في تقنيات الإنتاج والأنماط الجمالية، يعكس التنوع الثقافي والبيئي بين المناطق. وسمحت هذه الدراسة بتحديد أوجه التشابه والاختلاف بين الفخار التقليدي في مقلة، القلالة، وبني يزقن، مما يدعم أهمية التثمين المحلي لكل نمط وفق خصوصياته.

الخاتمة :

لقد حاولت هذه المذكرة تسليط الضوء على صناعة الفخار التقليدي في الجزائر باعتبارها حرفة عريقة تجمع بين البعد التاريخي، الثقافي، الاقتصادي والجمالي. تناولنا في الإطار النظري الجذور العميقة لهذه الصناعة، وعلاقتها بالحضارات القديمة والهوية المحلية، إضافة إلى التحديات التي تواجهها اليوم في ظل التغيرات الاقتصادية والتكنولوجية. كما خصصنا الفصل الثاني لدراسة وثائق رسمية وتحليل ميداني لحالات ثلاث مناطق جزائرية معروفة بصناعة الفخار: مقلة (تيزي وزو)، القلالة (تبسة)، وبني يزقن (غرداية).

من خلال هذه الدراسة، تم التوصل إلى أن الفخار ليس مجرد منتج يدوي، بل هو تجلٍّ حي لذاكرة جماعية، وتعبير عن علاقة الإنسان بأرضه وثقافته، وهو أيضًا نشاط اقتصادي يمكنه أن يلعب دورًا محوريًا في التنمية المحلية إذا ما أُعيد تثمينه وتحديث دعمه المؤسسي.

النتائج:

- تُعد صناعة الفخار في الجزائر تراثًا ماديًا لا يزال حيًا في عدة مناطق رغم التحديات.
- تشترك المناطق الثلاث في اعتمادها على تقنيات تقليدية مثل الطين المحلي، التشكيل اليدوي، والحرق الطبيعي.
- تظهر فروقات واضحة في الجمالية والزخرفة تعكس الخصوصيات الثقافية لكل منطقة.
- تلعب المرأة دورًا محوريًا في نقل المهارات والمحافظة على استمرارية الحرفة، خاصة في مقلة والقلالة.
- تعاني صناعة الفخار من ضعف التسويق وقلة الدعم الرسمي، رغم ما تمثله من قيمة اقتصادية وسياحية.
- الجمعيات والمنظمات المحلية تساهم في الحفاظ على الحرفة، لكن جهودها غير كافية دون سياسات وطنية مرافقة.
- الوثائق الرسمية تُظهر وجود وعي بقيمة الفخار، لكنه لا يترجم غالبًا إلى دعم عملي على الميدان.
- الخصائص التقنية للفخار التقليدي تختلف حسب المنطقة، مما يُشكل رصيدًا يمكن توظيفه في بناء علامات جغرافية محمية.

قائمة المصادرو المراجع

قائمة المصادروالمراجع

أ. المراجع باللغة العربية:

I. الكتب:

1. رابح، وليد. الاقتصاد الثقافي في الجزائر: الحرف التقليدية في مواجهة العولمة. الجزائر: دار الهدى، 2023.
2. رابح، وليد. المرأة والحرف: التحديات والفرص في الجزائر المعاصرة. الجزائر: دار الهدى، 2023.
3. فرح، حدة. التراث اللامادي في الجزائر: دراسة أنثروبولوجية لفخار القلالة. الجزائر: دار بوف يوسف، 2020.

II. المجلات والدوريات:

1. المركز الوطني للإحصاء (CENEAP). تقرير حول القطاع غير الرسمي في الجزائر. الجزائر: منشورات المركز الوطني، 2021.
2. وزارة التضامن الوطني. تقرير حول مشاركة المرأة في الحرف التقليدية. الجزائر: منشورات الوزارة، 2020.

III. الرسائل والمذكرات:

1. عماري، نورة. الحرف التقليدية كرافد اقتصادي وسياحي: دراسة حالة منطقة القلالة. مذكرة ماستر غير منشورة، جامعة تبسة، 2022.

IV. المواقع الالكترونية:

1. المركز الوطني للصناعات التقليدية. "صناعة الفخار بين الأصالة والتجديد". https://cnpat.dz/ (تاريخ الدخول: ماي 2025).
2. وزارة الثقافة الجزائرية. "التراث الحرفي في الجزائر". https://m-culture.gov.dz/ (تاريخ الدخول: ماي 2025).

ب. المراجع باللغات الاجنبية:

1. Bouchenaki, M. The Protection of Traditional Cultural Expressions in Algeria. UNESCO Publications, 2019.
2. Gell, A. Art and Agency : An Anthropological Theory. Oxford : Clarendon Press, 1998.
3. UNESCO. Intangible Cultural Heritage in the Maghreb : Case of Pottery in Algeria. Paris : UNESCO, 2021.

قائمة الاشكال

والجداول

فهرس الاشكال والجداول

فهرس الاشكال:

رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحة
01	صورة توضح طريقة العجن العجينة الفخارية	08
02	التشكيل باليد عن طريق تقنية الحزبالحبال	09
03	تشكيل الأواني الفخارية عن طريق اليد	09
04	صورة توضح الشكل العام الدولاب	10
05	صورة توضح طريقة القولبة عن طريق تقنية القالب	11
06	صورة توضح فرن لطهي الأواني الفخارية	12
07	طريقة التفخيرلدى الانسان قديما	14

فهرس الجداول:

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
01	اوجه الاختلاف بين المناطق الثلاثة	51

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

المحتويات	الصفحة
الشكروالعرفان	
الاهداء	
الملخص	
خطة الدراسة	
المقدمة	أ
الفصل الاول: الاطارالنظري لصناعة الفخارفي الجزائر	**04**
تمهيد الفصل	**05**
المبحث الأول: الجذور التاريخية والثقافية لصناعة الفخارفي الجزائر	**06**
المطلب1: تعريف الفخار	**06**
المطلب2: مراحل صناعة الفخار	**07**
المطلب3: انواع الفخار	**14**
المطلب4: تطور أدوات وتقنيات الفخار الجزائري	**16**
المبحث الثاني: البعد الاقتصادي والاجتماعي لصناعة الفخار	**18**
المطلب1: دور الفخار في الاقتصاد المحلي والحرفي	**18**
المطلب2: مساهمة النساء في صناعة الفخار	**21**
المطلب 3: الفخار كمنتج سياحي وثقافي	**23**
المطلب4: التحديات التي تواجه صناعة الفخار التقليدية	**25**
خلاصة الفصل	**28**
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية وثائقية لصناعة الفخارفي الجزائر	**29**
تمهيد الفصل	**30**
المبحث الأول: عرض وتحليل وثائق رسمية حول الفخار	**31**
المطلب1: تحليل مضامين التشريعات المتعلقة بالصناعات التقليدية	**31**
المطلب2: قراءة في تقارير وزارتي الثقافة والصناعة التقليدية	**32**
المطلب3: دور الجمعيات المحلية والمنظمات في دعم الفخار	**35**
المطلب4: عرض احصاءات رسمية حول عدد الحرفيين ومناطق الانتشار	**38**
المبحث الثاني: دراسات حالة لمناطق جزائرية تشتهربصناعة الفخار	**42**
المطلب1: دراسة حالة منطقة مقلة بتيزي وزو	**42**
المطلب2: :دراسة حالة منطقة القلالة بولاية تبسة	**45**

فهرس المحتويات

المطلب3: دراسة حالة منطقة بني يزقن بغرداية	**47**
المطلب4: اوجه التشابه والاختلاف في خصائص التقنية والجمالية للفخار بين المناطق	**50**
خلاصة الفصل	**52**
الخاتمة	**53**
قائمة المراجع	**54**
قائمة الاشكال والجداول	**56**
فهرس المحتويات	**58**